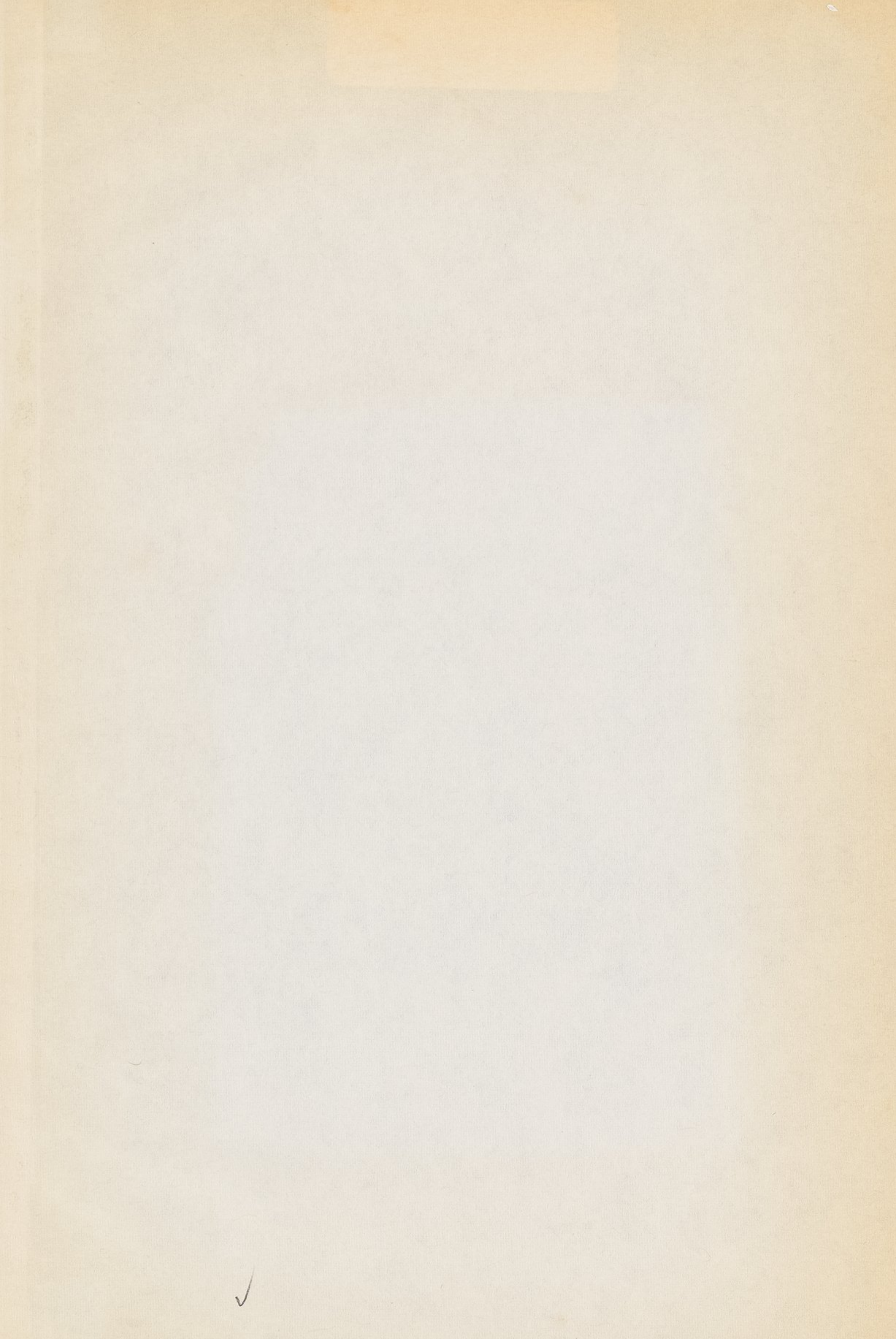
AL YUSUF

ARBAH AL-BIDA'AH

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE


Princeton University Library
32101 073836551



أربح البضاعة

في معتقد أهل السنة والجماعة

جمعها

علي بن سليمان آل يوسف

طبع على نفقة

صاحب السمو العالم الجليل الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني حفظه الله

منشورات المكتب الإسلامي بدمشق

أربح البضاعة

في معتقد أهل السنة والجماعة

جمعها

علي بن سليمان آل يوسف

طبع على نفقة

صاحب السمو العالم الجليل الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني حفظه الله

منشورات المكتب الإسلامي بدمشق

هذا الكتاب

وقف لله تعالى

من صاحب السمو

الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني

حفظه الله

المكتب الإسلامي للطباعة والنشر

لصاحبه

محمد زهير الشاويش

دمشق : الحلبوني ص ب ٨٠٠ هاتف ١١٦٣٧ برقياً اسلامي
بيروت : ص ب ٢٠٣٢ هاتف ٢٢٧٠٥٤

١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

إن الحمد لله ، نحمده و نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وبعد : فان المكتب الاسلامي يقوم للمرة الثانية بطبع هذا المجموع الذي يضم بحوثاً متنوعة في العقيدة والفقه والخلق ، ويشتمل على مايلي :

١ - قصيدة الامام عبد الله بن محمد الأندلسي المالكي ، أودع فيها العقائد الاسلامية ، والفروع الفقهية ، والنصائح النبوية ، والمواعظ الخلقية .

٢ - عقيدة الشيخ احمد بن ابراهيم الواسطي الشافعي ، تعرض فيها الثلاث مسائل هامة شغلت أذهان كثير من الباحثين ، وكثر الاختلاف حولها ، وهي مسألة صفات الله تعالى ، وإثبات الفوقية له عز وجل ، واعتقاد أن القرآن العظيم لفظه ومعناه من الله تعالى .

٣ - قصيدة الامام ابن قيم الجوزية ، ضمنها حكماً متنوعة ، ونصائح جمة ، وعقائد صحيحة ، مستقاة من الكتاب والسنة .

٤ - القصيدة اللامية لابن مشرف الحاوية على اعتقاد السلف الصالح في الصفات ، وموضوع القضاء والقدر .

٥ - قصيدة الشيخ ابراهيم الأندلسي يعاتب فيها ولده ويحثه على طلب العلم ، واغتنام الفرصة قبل فوات الأوان .

٦ ــ قصيدة في مدح الامام المبجل أحمد بن حنبل للشيخ محمد بن احمد الموصلي.

هذا وقد تداركنا في هذه الطبعة بعض الأخطاء اللغوية التي فاتتنا في الطبعة السابقة ، وضبطنا بعض الأبيات التي اختل وزنها ، وفسرنا الكلمات الغريبة تفسيراً موجزاً ، وعرفنا بعض الأعلام بتراجم مختصرة ، وأثبتنا تعليقات العلامة الشيخ محمد بن مانع التي ألحقناها في اخر الطبعة الثانية في اماكنها .

ولما كانت نسخ الطبعة السابقة التي أمر بطبعها على نفقته الخاصة صاحب السمو الشيخ علي آل ثاني حفظه الله ـ قد نفذت وأصبحت صعبة المنال ، أمر سموه حفظه الله بطبعه طبعة ثالثة ، ليتيسر لطلاب العلم أن ينتفعوا بما في هذا المجموع من فوائد ، فجزاه الله تعالى خير الجزاء .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

بيروت ١ شعبان ١٣٨٣ ﻫ

١٧ كانون الاول ١٩٦٣ م

ابو بكر

م زهير شاويش

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ،

أما بعد ، فهذا مجموع في العقيدة والاخلاق، جمعه العلامة الفاضل الشيخ علي بن سليمان آل يوسف القصيمي الحنبلي ليكون – كما قال – الى السعادة سبيلا، وعلى الهدي النبوي دليلا ، وطبعه سنة ١٣١٦ .

وقد أمر بتجديد طبعه ـ بعد أن أصبح اليوم مفقوداً أو في حكم المفقود ـ عالم الأمراء وأمير العلماء، المحسن الشهير .

صاحب السمو الشيخ علي آل ثاني

وكان ذلك بناء على اقتراح صاحب السماحة العلامة الجليل الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع الذي له القدح المعلى في نشر الثقافة والتعليم في الحجاز ونجد وقطر .

ويتألف هذا المجموع من قصيدة الامام أبي محمد عبد الله بن محمد الاندلسي القحطاني مضموما اليها سبع رسائل أخرى هي :

١ ـ عقيدة الامام احمد الواسطي .

٢ ـ القصيدة الميمية للامام ابن القيم .

٣ ـ الشهب المرمية على المعطلة والجهمية للشيخ ابن مشرف .

٤ ـ قصيدة في رثاء العلم لابن مشرف .

٥ - قصيدة في الحث على مكارم الأخلاق للامام الصنعاني .

٦ - قصيدة للشيخ ابراهيم الأندلسي يحث بها ولده على طلب العلم .

٧ - قصيدة العلامة الموصلي بمدح الامام احمد بن حنبل .

وأما ماذكره جامع الرسائل رحمه الله في المقدمة التي كتبها من أن عدد الرسائل التي نظمها مع ، القصيدة ، ستة فمرده - فيما نحسب - الى انه كتب المقدمة قبل اضافة الرسالة الاخيرة .

وقد اعتمدنا في الطبع على النسخة المطبوعة بتصحيح جامع الرسائل سنة ١٣١٦ مع مقابلة الرسائل التي وجدناها ايضا في كتب اخرى .

وفي النسخة أخطاء مطبعية ولغوية ونحوية . وقد أصلحنا ما وجدنا صوابه في غير هذه النسخة من الكتب وماليس له في العربية وجه ، إلا ما كان اصلاحه مفسداً للنظم فقد تركناه على حاله مع الاشارة - أحيانا - اليه .

وترجمنا لبعض الأعلام بتراجم مختصرة ، وفسرنا بعض الكلمات التي وجدنا لتفسيرها حاجة .

ولم نعلق على الكتاب في الأماكن التي تحتاج الى تعليق ، ليخرج الكتاب الى الناس بسرعة حسب رغبة سمو الأمير الجليل حفظه الله ، وليبقى الكتاب كما هو في الاصل دونما اضافة .

والله نسأل أن يرد المسلمين الى كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

مقدمة الطبعة الاولى

الحمد لله العلي الكبير ، العليم اللطيف الخبير ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، لاتدركه الأبصار والمدارك ، وكيفما تصورته الأفكار فالله بخلاف ذلك ، استوى على العرش ولا يقال : كيف استوى ؟ ، وأحاط علماً بالكون وما حوى .

أحمده حمداً لايعد ولا يحصى ، وأشكره على نعمه التي لاتستقصى .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، اله تقدس عن الوالدوالولد، وجل عن أن يكون له كفواً أحد .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين انساً وجناً ، الفائز من القرب من ربه بالمقام الأسنى ، المخصوص برتبة « فكان قاب قوسين او أدنى »[1] ، وعلى آله نجوم الهدى وأصحابه الابرار السعدا .

أما بعد ، فيقول العبد الفقير الى رحمة اللطيف الخبير علي بن سليمان[2] ، آمنه الله من موجبات التلهف والتأسف : لما رأيت تشعب الآراء والاهواء ، وركوب اهل هذا الزمان متن عمياء وخبطهم خبط عشواء . والاغلب قد ارخى عنان الطاعة لهواه ، الا الملازمين لهدي المصطفى واصحابه — والمنة على من هداه

---

(١) سورة النجم الآية :٩

(٢) آل يوسف النجدي القصيمي ثم البغدادي احد تلامذة العلامة السيد محمودشكري الآلوسي الشهير المتوفى سنة ١٣٤٢ . وكان زميلا لنا في الدراسة على هذا الامام .

محمد بن مانع

الله – تتبعت آثار السلف الاخيار ، والخلف الابرار ، لأظفر بكتاب يكون الى السعادة سبيلا ، وعلى الهدي النبوى دليلا ، فيسر الله ذلك المرام ، في قصيدة الحبر الإمام ، العالم الرباني ابي محمد عبد الله بن محمد الاندلسي القحطاني ، السلفي المشرب ، والمالكي المذهب ، الصغيرة الحجم ، الغزيرة العلم ، المحتوية على الاصول الدينية ، والفروع الفقهية ، والنصائح النبوية ، التي يجب على كل موحد الاتسام بهديها ، وان يعد من بني ودها .

فأحببت ان انظم في سلك عقيانها ، وعقد جمانها ثماني رسائل(١) ، هي للوصول الى معتقد اهل الحق وتهذيب الخلق والخلق من اعظم الوسائل ، فجاءت بحمد الله لعقد الدين درة ، ولعيون المتقين قرة ، راجياً ان تكون حجاباً من النار ، وذخراً ليوم العرض على الجبار .

ولما ان تم الغرض المطلوب ، بمعونة علام الغيوب ، سميت هذا المجموع :

« اربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة »

والله أسأل ، وباسمه العظيم أتوسل ، ان ينفع به اخواننا المؤمنين ، ويهدي بمصباح زجاجة مشكاة هداه جميع المسلمين ، انه الموفق والمعين ، لارب غيره ، ولا يرجى إلا خيره .

---

(١) في الأصل : ست رسائل .

قصيدة

الإمام عبد الله بن محمد الأندلسي المالكي ★

قال عليه الرحمة والرضوان ، وأسكنه الله بحبوحة الجنان :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

يا منزل الآيات والفرقان ... بيني وبينك حرمة القرآن
اشرح به صدري لمعرفة الهدى ... واعصم به قلبي من الشيطان
يسر به أمري ، وأقض مآربي ... وأجر به جسدي من النيران
واحطط به وزري ، وأخلص نيتي ... واشدد به أزري ، وأصلح شاني
واكشف به ضري ، وحقق توبتي ... واربح به بيعي بلا خسران
طهر به قلبي ، وصفّ سريرتي ... أجمل به ذكري ، وأعل مكاني
واقطع به طمعي ، وشرف همتي ... كثّر به ورعي ، وأحي جناني
أسهر به ليلي ، وأظْمِ(١) جوارحي ، ... أسبل بفيض دموعها أجفاني
امزجه يا ربي بلحمي مع دمي ... واغسل به قلبي من الأضغان
أنت الذي صورتني ، وخلقتني ... وهديتني لشرائع الايمان
أنت الذي علمتني ، ورحمتني ... وجعلت صدري واعي القرآن
أنت الذي أطعمتني ، وسقيتني ... من غير كسب يد ولا دكان

★ لم نجد لهذا الامام ترجمة بهذا الاسم، ولعله محمد بن صالح القحطاني المعافري الاندلسي المالكي ابو عبدالله ، وقد قال عن نفسه في اثناء شعره : وانا الاديب الشاعر القحطاني . وقال المقري في « نفح الطيب » (ج٢/٣٤٢) إنه كان من أفاضل الناس ومن ثقاتهم . رحل في طلب العلم الى المشرق والمغرب ، وجمع تاريخاً لاهل الاندلس . وذكره الزركلي في « الاعلام » (٣٢/٧) وبين ان تاريخ وفاته [٣٨٣] هـ . ولم يتعرض كلاهما لذكر هذه القصيدة

(١) من الظمأ .

وجبرتني ، وسترتني ، ونصرتني وغمرتني بالفضل والاحسان
أنت الذي آويتني ، وحبوتني وهديتني من حيرة الخذلان
وزرعت لي بين القلوب مودة ، وعطفت منك برحمة وحنان
ونشرت لي في العالمين محاسنا ، وسترت عن أبصارهم عصياني
وجعلت ذكري في البرية شائعا ، حتى جعلت جميعهم إخواني
والله لو علموا قبيح سريرتي لأبى السلام عليّ من يلقاني
ولأعرضوا عني ، وملوا صحبتي ، ولبؤت بعد كرامة بهوان
لكن سترت معايبي ومثالبي وحلمت عن سقطي وعن طغياني
فلك المحامد والمدائح كلها بخواطري وجوارحي ولساني
ولقد مننت عليّ ، رب ، بأنعم مالي بشكر أقلهن يدان
فوحق حكمتك التي آتيتني حتى شددت بنورها برهاني
لئن اجتبتني من رضاك معونة حتى تقوي أيدها(١) ايماني
لأسبحنك بكرة وعشية ، ولتخدمنك في الدجى أركاني
ولأذكرنك قائماً أو قاعداً ، ولأشكرنك سائر الأحيان
ولأكتمن عن البرية خلتي(٢) ، ولأشكون اليك جهد زماني
ولأقصدنك في جميع حوائجي من دون قصد فلانة وفلان
ولأحسمن عن الأنام مطامعي بحسام يأس لم تشبه بناني
ولأجعلن رضاك أكبر همتي ، ولأضربن من الهوى شيطاني
ولأكسون عيوب نفسي بالتقى ، ولاقبضن عن الفجور عناني
ولأمنعن النفس عن شهواتها ، ولأجعلن الزهد من أعواني
ولأتلون حروف وحيك في الدجى ، ولأحرقن بنوره شيطاني
أنت الذي . يارب ، قلت حروفه ، ووصفته بالوعظ والتبيان
ونظمته ببلاغة أزلية ، تكييفها يخفى على الاذهان
وكتبت في اللوح الحفيظ حروفه من قبل خلق الخلق في أزمان
فالله ربي ، لم يزل متكلماً حقاً اذا ما شاء ذو احسان
نادى بصوت حين كلم عبده موسى ، فأسمعه بلا كتمان

(١) الصواب : ايديها ، وحذف الياء لضرورة الشعر .
(٢) الخلة : — بالفتح — الحاجة والفقر .

وكذا ينادي في القيامة ربنا   جهرا ، فيسمع صوته الثقلان
أن يا عبادي ، أنصتوا لي ، واسمعوا   قول الاله المالك الديان
هذا حديث نبينا عن ربه   صدقا بلا كذب ولا بهتان
لسنا نشبه صوته بكلامنا ،   اذ ليس يدرك وصفه بعيان
لا تحصر الأوهام مبلغ ذاته   أبدا ، ولا يحويه قطر مكان
وهو المحيط بكل شيء علمه   من غير اغفال ولا نسيان
من ذا يكيف ذاته وصفاته ؟!   وهو القديم مكون الأكوان
سبحانه ملكاً على العرش استوى ،   وحوى جميع الملك والسلطان
وكلامه القرآن أنزل آيه   وحياً على المبعوث من عدنان
صلى عليه الله خير صلاته ،   ما لاح في فلكيهما القمران
هو جاء بالقرآن من عند الذي   لا تعتريه نوائب الحدثان
تنزيل رب العالمين ووحيه   بشهادة الأحبار والرهبان
وكلام ربي لا يجيء بمثله   أحد ، ولو جمعت له الثقلان
وهو المصون من الاباطل كلها ،   ومن الزيادة فيه والنقصان
من كان يزعم أن يباري نظمه ،   ويراه مثل الشعر والهذيان
فليأت منه بسورة أو آية ،   فاذا رأى النظمين يشتبهان
فلينفرد باسم الألوهة ، وليكن   رب البرية ، وليقل سبحاني
فاذا تناقض نظمه فليلبسن   ثوب النقيصة صاغرا بهوان
أو فليقرّ بأنه تنزيل من   سماه في نص الكتاب مثاني(١)
لا ريب فيه بأنه تنزيله   وبداية التنزيل في رمضان
الله فصله ، وأحكم آيه ،   وتلاه تنزيلا بلا ألحان
هو قوله ، وكلامه ، وخطابه   بفصاحة وبلاغة وبيان
هو حكمه ، هو علمه ، هو نوره   وصراطه الهادي الى الرضوان

---

(١) اختلفت الآراء في تفسير المثاني، فوردت بمعنى فاتحة الكتاب ، وبمعنى ست وعشرين سورة ، وبمعنى ما دون المئين من السور ، والمقصود بالمثاني هنا القرآن الكريم كله، ويشهد له قول حسان بن ثابت :

ومن للقوافي بعد حسان وابنه   ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت

جمع العلوم دقيقها وجليلها ، فبه يصول العالم الرباني

قصص على خير البرية قصه ربي فأحسن أيما إحسان

كلماته منظومة وحروفه بتمام ألفاظ وحسن معان

وأبان فيه حلاله وحرامه ، ونهى عن الآثام والعصيان

من قال : ان الله خالق قوله فقد استحل عبادة الأوثان

من قال : فيه عبارة وحكاية فغدا يجرع من حميم آن

من قال : ان حروفه مخلوقة فالعنه ثم اهجره كل أوان

لا تلق مبتدعاً ولا متزندقاً الا بعبسة مالك الغضبان

والوقف في القرآن خبث باطل وخداع كل مذبذب حيران

قل : غير مخلوق كلام إلهنا واعجل،ولا تك في الاجابة وان (١)

أهل الشريعة أيقنوا بنزوله ، والقائلون بخلقه شكلان

وتجنب اللفظين ، ان كليهما ومقال جهم عندنا سيان (٢)

يا أَيها السني ؛ خذ بوصيتي ، واخصص بذلك جملة الاخوان

واقبل وصية مشفق متودد ، واسمع بفهم حاضر يقظان

كن في أُمورك كلها متوسطاً عدلاً بلا نقص ولا رجحان

واعلم بأن الله رب واحد متنزه عن ثالث أو ثان

الأول المبدي بغير بداية ، والآخر المفني وليس بفان

وكلامه صفة له وجلالة منه بلا أمد ولا حدثان

ركن الديانة أن تصدق بالقضا ، لا خير في بيت بلا أركان

الله قد علم السعادة والشقا ، وهما ومنزلتاهما ضدان

لا يملك العبد الضعيف لنفسه رشداً ، ولا يقدرْ على خذلان

سبحان من يُجري الامور بحكمة في الخلق بالأرزاق والحرمان

نفذت مشيئته بسابق علمه في خلقه عدلا بلا عدوان

والكل في أم الكتاب مسطر من غير إغفال ولا نقصان

فاقصد هديت ، ولا تكن متغالياً، ان القدور تفور بالغليان

---

(١) وهو خبر «تك» وكان حقه ان يقول: «وانياً» بالنصب، ولكن كسره لضرورة الشعر .

(٢) هو جهم بن صفوان الضال المبتدع ، هلك في زمن صغار التابعين سنة ١٢٨هـ . وقد زرع شراً كثيراً في الناس .

دن بالشريعة والكتاب كليهما ، فكلاهما للـدين واسطتان
والخير والشر اللذين كليهما بجميع ما تأتيـه محتفظان
ولكل عبد حافظان لكل ما يقع الجزاء عليـه مخلوقان
أمرا بكتب كلامه وفعاله ، وهما لأمر الله مؤتمران
والله أصدق وعده ووعيده مما يعاين شخصه العينـان
والله أكبر أن تحد صفاته ، أو أن يقاس بجملة الأعيان

* * *

وحياتنا في القبر بعد مماتنا حقاً ويسألنا به الملكان
والقبر صح نعيمه وعذابه ، وكلاهما للنـاس مدخران
والبعث بعد الموت وعد صادق باعادة الأرواح في الأبدان
وصراطنا حق ، وحوض نبينا صدق ، له عدد النجوم أواني
يسقى بها السني أعذب شربة ، ويذاد كل مخالف فتـان
وكذلك الأعمال يومئذ ترى موضوعة في كفة المـيزان
والكتب يومئذ تطاير في الورى بشمائل الأيدي وبالأيمـان
والله يومئذ يجيء لعرضنا مع أنه في كل وقت دان
والأشعري يقول : يأتي أمره ، ويعيب وصف الله بالاتيان(١)
والله في القرآن أخبر أنه يأتي بغير تنقل وتدان(٢)
وعليه عرض الخلق يوم معادهم للحكم كي يتناصف الخصمان

---

(١) الاشعري الف كتاب« الابانة » وأثنى في أوله على الامام احمد ، وذكر أنه مقتد به في معتقده ، وأثبت فيه صفة العلو لله تعالى ، وكذلك سائر الصفات الواردة ، ولكنه في مسألة القرآن لم يصرح بمذهب أهل السنة ، وأتباعه كذلك. قال ابن القيم في قصيدته «النونية» مخاطباً الاشعرية :

في القول خالفناه نحن ، وانتم في الفوق والاوصاف للرحمن

(٢) يعني ان الله تعالى ، أخبر أنه يأتي، فيجب علينا الايمان بذلك كسائر الصفات الواردة في الكتاب والسنة ، فنثبتها اثبات وجود ، ونؤمن بها من غير تكييف ولا تمثيل ، ولا نقول على الله بغير علم ؛ لان ذلك منهي عنه ، فهو عديل الشرك .

والله يومئذ نراه كما نرى … قمراً بدا للست بعد ثمان (١)
يوم القيامة لو علمت بهوله … لفررت من أهل ومن أوطان
يوم تشققت السماء لهوله ، … وتشيب فيه مفارق الولدان
يوم عبوس قمطرير شره ، … في الخلق منتشر عظيم الشان
والجنة العليا ونار جهنم … داران للخصمين دائمتان
يوم يجيء المتقون لربهم … وفدا على نجب من العقيان
ويجيء فيه المجرمون الى لظى … يتلمظون تلمظ العطشان
ودخول بعض المسلمين جهنماً … بكبائر الآثام والطغيان
والله يرحمهم بصحة عقدهم ، … ويبدلوا من خوفهم بأمان
وشفيعهم عند الخروج محمد ، … وطهورهم في شاطىء الحيوان
حتى اذا طهروا هنالك أدخلوا … جنات عدن ، وهي خير جنان
فالله يجمعنا وإياهم بها … من غير تعذيب وغير هوان

* * *

واذا دعيت الى أداء فريضة … فانشط ، ولا تك في الاجابة وان
قم بالصلاة الخمس ، واعرف قدرها ، … فلهن عند الله أعظم شان
لاتمنعن زكاة مالك ظالما ، … فصلاتنا وزكاتنا أختان
والوتر بعد الفرض آكد سنة ، … والجمعة الزهراء والعيدان
مع كل بر صلها (٢) أو فاجر … ما لم يكن في دينه بمشان
وصيامنا رمضان فرض واجب ، … وقيامنا المسنون في رمضان
صلى النبي به ثلاثاً رغبة ، … وروى الجماعة أنها ثنتان
إن التراوح راحة في ليله … ونشاط كل عويجز كسلان
والله ما جعل التراوح منكراً … الا المجوس وشيعة الصلبان
والحج مفترض عليك ، وشرطه … أمن الطريق وصحة الأبدان
كبر هديت على الجنائز أربعاً ، … واسأل لها بالعفو والغفران
ان الصلاة على الجنائز عندنا … فرض الكفاية لا على الأعيان

---

(١) اي في الليلة الرابعة عشرة من الشهر .

(٢) الاصل :صلهما. ولايستقيم الوزن بذلك ، والضمير يعود الى الجمعة والعيدين .

ان الأهلة للأنام مواقت ، وبها يقوم حساب كل زمان (١)
لا تفطرن ، ولا تصم ، حتى يرى شخص الهلال من الورى اثنان(٢)
متثبتان على الذي يريانه ، حران ، في نقليهما ثقتان
لا تقصدن ليوم شك عامداً فتصومه وتقول : من رمضان
لا تعتقد دين الروافض ، انهم أهـــل المحال وشيعة الشيطان
جعلوا الشهور على قياس حسابهم ، ولربمـــا كملا لنا شهران
ولربما نقص الذي هو عندهم واف ، وأوفى صاحب النقصان
إن الروافض شر من وطىء الحصى من كل طائفـــة ومن إنسان
مدحوا النبي ، وخونوا أصحابه ، ورموهم بالظلم والعـــدوان
حبوا قرابته ، وسبوا صحبه ، جدلان عند الله منتقضان
فكأنما آل النبي وصحبه روح يضم جميعها جسدان
فئتان عقدهما شريعة أحمد بأبي وأمي ذانك الفئتان
فئتان سالكتان في سبل الهدى ، وهما بدين الله قائمتان
قل : ان خير الانبياء محمد ، وأجل من يمشي على الكثبان
وأجل صحب الرسل صحب محمد ، وكذاك أفضل صحبه العمران(٣)
رجلان قد خلقا لنصر محمد ، بدمي ونفسي ذانك الرجلان
فهما اللذان تظاهرا لنبينا في نصره ، وهما له صهران
بنتاهما(٤) أسنى نساء نبينا ، وهما له بالوحي صاحبتان
أبواهما أسنى صحابة أحمد ، يا حبذا الأبوان والبنتان
وهما وزيراه اللذان هما هما لفضائل الأعمال مستبقان
وهما لأحمد ناظراه وسمعه ، وبقربه في القبر مضطجعان
كانا على الاسلام أشفق أهله ، وهمـــا لدين محمد جبلان

(١) يشير بذلك إلى قوله تعالى : (يسألونك عن الاهلة قل : هي مواقيت للناس) . البقرة : ١٨٩
(٢) هذا مذهب المالكية ، فليراجع البحث في محله من كتب الخلاف مثل «الافصاح» لابن هبيرة وغيره .
(٣) هما : سيدنا ابو بكر وسيدنا عمر ، رضي الله عنهما .
(٤) هما : ام المؤمنين عائشة ، وام المؤمنين حفصة ، رضي الله عنهما .

أصفاهما ، أقواهما ، أخشاهما ، أتقاهما في السر والاعلان
أسناهما ، أزكاهما ، أعلاهما ، أوفاهما في الوزن والرجحان
صديق أحمد صاحب الغار الذي هو في المغارة والنبي اثنان
أعني أبا بكر الذي لم يختلف من شرعنا في فضله رجلان
هو شيخ أصحاب النبي ، وخيرهم ، وإمامهم حقاً بلا بطلان
وأبو المطهرة التي تنزيهها قد جاءنا في النور والفرقان
أكرم بعائشة الرضى من حرة بكر مطهرة الازار حصان
هي زوج خير الانبياء ، وبكره ، وعروسه من جملة النسوان
هي عرسه ، هي أنسه ، هي الفه ، هي حبه ، صدقاً بلا ادهان
أوليس والدها يصافي بعلها ؟ وهما بروح الله مؤتلفان
لما قضى صديق أحمد نحبه دفع الخلافة للامام الثاني
أعني به الفاروق ، فرق عنوة بالسيف بين الكفر والايمان
هو أظهر الاسلام بعد خفائه ، ومحا الظلام ، وباح بالكتمان
ومضى ، وخلى الأمر شورى بينهم في الأمر ، فاجتمعوا على عثمان
من كان يسهر ليله في ركعة وتراً فيكمل ختمة القرآن
ولي الخلافة صهر أحمد بعده ، أعني : علي العالم الرباني
زوج البتول ، أخا[1] الرسول ، وركنه ، ليث الحروب ، منازل الأقران
سبحان من جعل الخلافة رتبة ، وبنى الامامة أيما بنيان
واستخلف الأصحاب كي لا يدعي من بعد أحمد في النبوة ثان
أكرم بفاطمة البتول وبعلها ، وبمن هما لمحمد سبطان
غصنان أصلهما بروضة أحمد ، لله در الأصل والغصنان(٢)
أكرم بطلحة والزبير وسعدهم وسعيدهم وبعابد الرحمن
وأبي عبيدة ذي الديانة والتقى وامدح جماعة بيعة الرضوان
قل خير قول في صحابة أحمد ، وامدح جميع الآل والنسوان

---

(١) اي : آخى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الاسلام .
(٢) أي: در الغصنين، على حذف المضاف .

دع ماجرى بين الصحابة في الوغى ... بسيوفهم يوم التقى الجمعان(١)

فقتيلهم منهم ، وقاتلهم لهم ، ... وكلاهما في الحشر مرحومان

والله يوم الحشر ينزع كل ما ... تحوي صدورهم من الأضغان

والويل للركب الذين سعوا الى ... عثمان ، فاجتمعوا على العصيان

ويل لمن قتل الحسين فانه ... قد باء من مولاه بالخسران

لسنا نكفر مسلماً بكبيرة ، ... والله ذو عفو وذو غفران

* * *

لا تقبلن من التوارخ كل ما ... جمع الرواة ، وخط كل بنان

ارو الحديث المنتقي عن أهله ... سيما ذوي الأحلام والأسنان

كابن المسيب والعلاء ومالك ... والليث والزهري أو سفيان

واحفظ رواية جعفر بن محمد ، ... فمكانه فيها أجل مكان

واحفظ لأهل البيت وأجب حقهم ، ... واعرف علياً أيما عرفان

لا تنتقصه ، ولا تزد في قدره ، ... فعليه تصلى النار طائفتان

احداهما لا ترتضيه خليفة ... وتنصه الأخرى الهاً ثاني

والعن زنادقة الروافض إنهم ... أعناقهم غلت الى الأذقان

جحدوا الشرائع والنبوة ، واقتدوا ... بفساد ملة صاحب الإيوان(٢)

لاتركنن الى الروافض ، إنهم ... شتموا الصحابة دونما برهان

لعنوا كما بغضوا صحابة أحمد ، ... ووداهم فرض على الانسان

حب الصحابة والقرابة سنة ، ... ألقى بها ربي إذا أحياني

احذر عقاب الله وارج ثوابه ... حتى تكون كمن له قلبان

* * *

(١) هذا هو الحق الذي ذهب اليه أهل العلم والايمان ك: عمر بن عبد العزيز ، واحمد ابن حنبل ، وغيرهما . وقد ضل احد الروافض الغلاة وألف كتاباً سماه« النصائح الكافية لمن تولى معاوية » فرد عليه عالم الشام في زمانه العلامة جمال الدين القاسمي ، وانتقد كتابه ودافع عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يسر المؤمنين ، ويرغم آناف المارقين .

(٢) هو كسرى أنوشروان ، وقد ذكره البحتري في وصفه للايوان ، وعقيدته المجوسية .

ايماننا بالله بين ثلاثة :   عمل وقول واعتقاد جنان(١)
ويزيد بالتقوى ، وينقص بالردى ،   وكلاهما في القلب يعتلجان
واذا خلوت بريبة في ظلمة   والنفس داعية الى الطغيان ،
فاستحي من نظر الإله ، وقل لها :   ان الذي خلق الظلام يراني
كن طالباً للعلم ، واعمل صالحاً ،   فهما الى سبل الهدى سببان
لاتتبع علم النجوم ، فانه   متعلق بزخارف الكهان
علم النجوم وعلم شرع محمد   في قلب عبد ليس يجتمعان
لو كان علم للكواكب أو قضا   لم يهبط المريخ في السرطان
والشمس في الحمل المضيء سريعة ،   وهبوطها في كوكب الميزان
والشمس محرقة لستة أنجم ،   لكنها والبدر ينخسفان
ولربما اسودا وغاب ضياهما ،   وهما لخوف الله يرتعدان
اردد على من يطمئن اليهما ،   ويظن أن كليهما ربان
يامن يحب المشتري وعطارداً   ويظـن أنهما لـه سعدان
لم يهبطان (٢) ويعلوان تشرفا ،   وبوهج حر الشمس يحترقان
أتخاف من زحل وترجو المشتري ؟   وكلاهما عبدان مملوكان
والله لو ملكا حياة او فنا   لسجدت نحوهما ليصطنعاني
وليفسحا في مدتي ، ويوسعا   رزقي ، وبالاحسان يكتنفاني
بل كل ذلك في يد الله الذي   ذلت لعزة وجهه الثقلان
فقد استوى زحل ونجم المشتري   والرأس والذنب العظيم الشان
والزهرة الغراء مع مريخها   وعطارد الوقاد مع كيوان
ان قابلت ، وتربعت ، وتثلثت ،   وتسدست وتلاحقت بقران
أهما دليل سعادة أو شقوة ؟   لا والذي برأ الورى وبراني
من قال بالتأثير فهو معطل   للشرع متبع لقول ثان

---

(١) هذا هو الذي دل عليه الكتاب والسنة خلافاً لمن قال: انه التصديق بالقلب والاقرار باللسان ، ومنهم من ذهب إلى انه التصديق بالقلب فقط ، او النطق باللسان فقط . وانظر «شرح العقيدة الطحاوية» الذي قام المكتب الاسلامي بطبعه طبعة محققة متقنة في (٥٣٦) صفحة.

(٢) اثبت النون في الفعل لضرورة الشعر .

ان النجوم على ثلاثة أوجه ‏ فاسمع مقال الناقد الدهقان

بعض النجوم خلقن زينا للسما ‏ كالدر فوق ترائب النسوان

وكواكب تهدي المسافر في السرى ‏ ورجوم كل مثابر شيطان

لا يعلم الانسان ما يقضى غدا ، ‏ اذ كل يوم ربنا في شان

والله يمطرنا الغيوث بفضله ، ‏ لا نوء عواء ولا دبران

من قال : ان الغيث جاء بهنعة ‏ أو صرفة ، أو كوكب الميزان

فقد افترى إثماً وبهتاناً ، ولم ‏ ينزل به الرحمن من سلطان

وكذا الطبيعة للشريعة ضدها ، ‏ ولقلما يتجمع الضدان

واذا طلبت طبائعا مستسلماً ‏ فاطلب شواظ النار في الغدران

علم الفلاسفة الغواة طبيعة ‏ ومعاد أرواح بلا أبدان

لولا الطبيعة عندهم وفعالها ‏ لم يمش فوق الارض من حيوان

والبحر عنصر كل ماء عندهم ، ‏ والشمس أول عنصر النيران

والغيث أبخرة تصاعد كلما ‏ دامت بهطل الوابل الهتان

والرعد ، عند الفيلسوف بزعمه ، ‏ صوت اصطكاك السحب في الأعنان

والبرق عندهم شواظ خارج ‏ بين السحاب يضيء في الأحيان

كذب أرسطاليسهم في قوله ‏ هذا ، وأسرف أيما هذيان

الغيث يفرغ في السحاب من السما ‏ ويكيله ميكال بالميزان

لا قطرة الا وينزل نحوها ‏ ملك الى الآكام والغيضان

والرعد صيحة مالك ، وهو اسمه ، ‏ يزجي السحاب كسائق الأظعان

والبرق شوظ النار يزجرها به ‏ زجر الحداة العيس بالقضبان

أفكان يعلم ذا أرسطاليسهم ‏ تدبير ماانفردت به الجهتان ؟!

أم غاب تحت الأرض، أم صعد السما ؟ ‏ فرأى بها الملكوت رأي عيان ؟!

أم كان دبر ليلها ونهارها ؟! ‏ أم كان يعلم كيف يختلفان ؟!

أم سار بطليموس بين نجومها ‏ حتى رأى السيار والمتواني ؟!

أم كان أطلع شمسها وهلالها ؟ ‏ أم هل تبصّر كيف يعتقبان ؟!

أم كان أرسل ريحها وسحابها ‏ بالغيث يهمل أيما هملان ؟!

بل كان ذلك حكمة الله الذي ‏ بقضائه متصرف الأزمان

لاتستمع قول الضوارب بالحصى　والزاجرين الطير بالطيران
فالفرقتان كذوبتان على القضا ، وبعلم غيب الله جاهلتان
كذب المهندس والمنجم مثله ، فهما لعلم الله مدعيان
الأرض عند كليهما كروية ، وهما بهذا القول مقترنان
والأرض عند أولي النهى لسطيحة بدليل صدق واضح القرآن
والله صيرها فراشاً للورى ، وبنى السماء بأحسن البنيان
والله أخبر أنها مسطوحة ، وأبان ذلك أيما تبيان
أأحاط بالأرض المحيطة علمهم ؟ ! أم بالجبال الشمخ الأكنان ؟!
أم يخبرون بطولها وبعرضها ؟ ! أم هل هما في القدر مستويان ؟!
أم فجروا أنهارها وعيونها ماء به يروي صدى العطشان ؟!
أم أخرجوا أثمارها ونباتها والنخل ذات الطلع والقنوان ؟!
أم هل لهم علم بعد ثمارها ، أم باختلاف الطعم والألوان ؟!
الله أحكم خلق ذلك كله صنعا ، وأتقن أيما اتقان
قل للطبيب الفيلسوف بزعمه : إن الطبيعه علمها برهاني
أين الطبيعة عند كونك نطفة في البطن إذ مشجت به الماآن ؟!
أين الطبيعة حين عدت عليقة في أربعين وقد مضى العددان ؟!
أين الطبيعة عند كونك مضغة في أربعين وقد مضى العددان ؟!
أترى الطبيعة صورتك مصوراً بمسامع ونواظر وبنان ؟!
أترى الطبيعة أخرجتك منكسا من بطن أمك واهي الأركان ؟!
أم فجرت لك باللبان ثديها ، فرضعتها حتى مضى الحولان ؟!
أم صيرت في والديك محبة فهما بما يرضيك مغتبطان ؟!
يا فيلسوف ، لقد شغلت عن الهدى بالمنطق الرومي واليوناني
وشريعة الاسلام أفضل شرعة دين النبي الصادق العدناني
هو دين رب العالمين وشرعه ، وهو القديم وسيد الأديان
هو دين آدم والملائك قبله ، هو دين نوح صاحب الطوفان
وله دعا هود النبي ، وصالح ، وهما لدين الله معتقدان
وبه أتى لوط ، وصاحب مدين ، فكلاهما في الدين مجتهدان

هو دين ابراهيم ، وابنيه معا ، وبه نجا من لفحة النيران
وبه حمى الله الذبيح من البلا لما فداه بأعظم القربان
هو دين يعقوب النبي ، ويونس ، وكلاهما في الله مبتليان
هو دين داود الخليفة وابنه ، وبه أذل له ملوك الجان
هو دين يحيى مع أبيه وأمة ، نعم الصبي وحبذا الشيخان
وله دعا عيسى بن مريم قومه لم يدعهم لعبادة الصلبان
والله أنطقه صبيا بالهدى في المهد ، ثم سما على الصبيان
وكمال دين الله شرع محمد صلى عليه منزل القرآن
الطيب الزاكي الذي لم يجتمع يوماً على زلل له أبوان
الطاهر النسوان والولد الذي من ظهره الزهراء والحسنان
وأولو النبوة والهدى ما منهم أحد يهودي ولا نصراني
بل مسلمون ومؤمنون بربهم ، حنفاء في الاسرار والاعلان

* * *

ولملة الاسلام خمس عقائد والله أنطقني بها وهداني
لا تعص ربك قائلا أو فاعلا ، فكلاهما في الصحف مكتوبان
جمل زمانك بالسكوت فانه زين الحليم وسترة الحيران
كن حلس بيتك ان سمعت بفتنة ، وتوق كل منافق فتان
أد الفرائض لا تكن متوانيا ، فتكون عند الله شر مهان
أدم السواك مع الوضوء فانه مرضي الاله مطهر الأسنان
سم الاله لدى الوضوء بنية ، ثم استعذ من فتنة الولهان
فأساس أعمال الورى نياتهم ، وعلى الأساس قواعد البنيان
أسبغ وضوءك لا تفرق شمله ، فالفور والاسباغ مفترضان
فاذا انتشقت فلا تبالغ جيدا لكنه شم بلا امعان(١)
وعليك فرض غسل وجهك كله ، والماء متبع به الجفنان
واغسل يديك الى المرافق مسبغاً ، فكلاهما في الغسل مدخولان

(١) ولكن الحديث دل على المبالغة، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « بالغ في الاستنشاق ما لم تكن صائماً» .

وامسح برأسك كلـه مستوفيـاً ، والماء ممســوح به الأذنان
وكذا التمضمض في وضوئك سنة بالماء ، ثم تمجه الشفتان
والوجه والكفان غسل كليهما فرض ، ويدخل فيهما العظمان
غسل اليدين لدى الوضوء نظافة ، أمر النبي بها على استحسان
سيما اذا ما قمت في غسق الدجى ، واستيقظت من نومك العينان
وكذلك الرجلان غسلهما معاً فرض ، ويدخل فيهما الكعبان
لا تستمع قول الروافض ، إنهم من رأيهم أن تمسح الرجلان
يتأولون قراءة منسوخة بقراءة ، وهما منزلتان
احداهما نزلت لتنسخ أختها ، لكن هما في الصحف مثبتتان
غسل النبي وصحبه أقدامهم ، لم يختلف في غسلهم رجلان
والسنة البيضاء عند أولي النهى في الحكم قاضية على القرآن (١)
فاذا استوت رجلاك في خفيهما وهما من الأحداث طـاهرتان
وأردت تجديد الطهارة محدثاً فتمامها أن يمسح الخفان
واذا أردت طهارة لجنابة فليخلعا ، ولتغسل القدمان
غسل الجنابة في الرقاب أمانة ، فأداؤها من أكمل الايمان
فاذا ابتليت فبادرن بغسلها ، لاخير في متثبط كسلان
واذا اغتسلت فكن لجسمك دالكاً ، حتى يعم جميعه الكفان
واذا عدمت الماء كن متيمماً من طيب ترب الارض والجـدران
متيمماً صليت او متوضئاً ، فكلاهما في الشرع مجزئتان
والغسل فرض ، والتدلك سنة ، وهما بمذهب مالك فرضان
والماء ما لم تستحل أوصافه بنجاسة ، أو سائر الأدهان
فاذا صفا في لونه أو طعمه مع ريحه من جملة الاضغان
فهناك سمي طاهراً ومطهراً ، هذان أبلغ وصفه هذان
فاذا تغير لونه أو طعمه من حمأة الآبار والغـدران
جاز الوضوء لنا به وطهورنا ، فاسمع بقلب حاضر يقظان
ومتى تمت في الماء نفس لم يجز منه الطهور لعلة السيلان

---

(١) اي مفسرة ومبينة لما أجمل في القرآن العزيز .

الا اذا كان الغدير مرجرجاً غدقاً بلا كيل ولا ميزان
أَو كانت الميتات مما لم تسل والما قليل طاب للغسلان
والبحر أجمعه طهور ماؤه وتحـل ميتته . من الحيتان
اياك نفسك ، والعدو ، و كيده ، فكلاهما لأذاك مبتدئان
واحذر وضؤك مفرطاً ومفرطاً ، فـكلاهما في العلم محذوران
فقليل مائك في وضوئك خدعة لتعود صحته الى البطلان
وتعود مغسولاته ممسوحة ، فاحذر غرور المارد الخوان
و كثير مائك في وضوئك بدعة ، يدعو الى الوسواس والهمـلان
لا تكثرن ، ولا تقلل ، واقتصد ، فالقصد والتوفيق مصطحبان
واذا استطبت ففي الحديث ثلاثة لم يجزنا حجر ولا حجران
من أجل أن لكل مخرج غائط شرجاً تضم عليه ناحيتان
واذا الأذى قد جاز موضع عادة لم يجز الا الماء بالامعان
نقض الوضوء بقبلة ، أو لمسة ، أو طول نوم ، أو بمس ختان
أو بولة ، أو غائط ، أو نومة ، أو نفخة في السر والاعلان
ومن المذي ، أو الودي كلاهما ، من حيث يبدو البول ينحدران
ولربما نفخ الخبيث بمكره حتى يضم لنفخه الفخذان
وبيان ذلك صوته أو ريحه ، هـاتان بينتان صادقتـان
والغسل فرض من ثلاثة أوجه : دفق المني وحيضة النسوان ،
انزاله في نومة أو يقظة ، حالان للتطهير موجبتان
وتطهر الزوجين فرض واجب عند الجماع ، اذا التقى الفرجان
فكلاهما ان أنزلا أو أكسلا فهما بحكم الشرع يغتسلان
واغسل اذا أمذيت فرجك كله ، والأنثيان فليس يفترضان(١)
والحيض والنفساء أصل واحد عند انقطاع الدم يغتسلان
واذا أعادت بعد شهرين الدما تلك استحاضة بعد ذي الشهران
فلتغتسل لصلاتها وصيامها ، والمستحاضة دهرها نصفان

---

(١) ومذهب الحنابلة انه يجب غسل الانثيين مع الذكر من خروج المذي . وهو من مفردات المذهب .

فالنصف تترك صومها وصلاتها ، ودم المحيض وغيره لونان
واذا صفا منها وأشرق لونه فصلاتها والصوم مفترضان
تقضي الصيام ولا تعيد صلاتها ، ان الصلاة تعود كل زمان
فالشرع والقرآن قد حكما به بين النساء فليس يطرحان
ومتى تر النفساء طهراً تغتسل أولا فغاية طهرها شهران
مس النساء على الرجال محرم ، حرث السباخ خسارة الحرثان
لا تلق ربك سارقاً ، او خائناً ، ، أو شارباً ، أو ظالماً ، أو زان
قل : ان رجم الزانيين كليهما فرض اذا زنيا على الإحصان
والرجم في القرآن فرض لازم للمحصنين ، ويجلد البكران
والخمر يحرم بيعها وشراؤها ، سيان ذلك عندنا سيان
في الشرع والقرآن حرم شربها ، وكلاهما لا شك متبعان

* * *

أيقن بأشراط القيامة كلها واسمع هديت نصيحتي وبياني
كالشمس تطلع من مكان غروبها ، وخروج دجال ، وهول دخان
وخروج يأجوج ومأجوج معاً من كل صقع شاسع ومكان
ونزول عيسى قاتلا دجالهم ، يقضي بحكم العدل والاحسان
واذكر خروج فصيل ناقة صالح يسم الورى بالكفر والايمان
والوحي يرفع والصلاة من الورى ، وهما لعقد الدين واسطتان

* * *

صل الصلاة الخمس أول وقتها اذ كل واحدة لها وقتان
قصر الصلاة على المسافر واجب ، وأقل حد القصر مرحلتان (١)
كلتاهما في أصل مذهب مالك خمسون ميلاً نقصها ميلان
واذا المسافر غاب عن أبياتــه فالقصر والإفطار مفعولان
وصــلاة مغرب شمسنا وصباحنا في الحضر والأسفار كاملتان

---

(١) وهناك قول ثان بأن القصر سنة لا واجب . واما حده : فقد صرح الموفق بن قدامة ، وشيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية وغيرهما من المحققين ، ان هذا التجديد لا دليل عليه ، بل كل ما يسمى سفراً يجوز فيه القصر وغيره من أحكام السفر ، ولا يحدد بمدة .

والشمس حين تزول من كبد السما ... فالظهر ثم العصر واجبتان
والظهر آخر وقتها متعلق ... بالعصر والوقتان مشتبكان
لا تلتفت ما دمت فيها قائماً ، ... واخشع بقلب خائف رهبان
وكذا الصلاة غروب شمس نهارنا ... وعشائنا ، وقتان متصلان
والصبح منفرد بوقت مفرد ... لكن لها وقتان مفرودان
فجر وإسفار وبين كليهما ... وقت لكل مطول متوان
وارقب طلوع الفجر واستيقن به ، ... فالفجر عند شيوخنا فجران
فجر كذوب ، ثم فجر صادق ، ... ولربما في العين يشتبهان
والظل في الأزمان مختلف كما ... زمن الشتا والصيف مختلفان
فاقرأ اذا قرأ الامام مخافتاً ... واسكت اذا ماكان ذا إعلان
ولكل سهو سجدتان فصلها ... قبل السلام وبعده قولان
سنن الصلاة مبينة وفروضها ، ... فاسأل شيوخ الفقه والاحسان
فرض الصلاة ركوعها وسجودها ، ... ما إن تخالف فيهما رجلان
تحريمها تكبيرها ، وحلالها ... تسليمها ، وكلاهما فرضان
والحمد فرض في الصلاة قراتها ، ... آياتها سبع وهن مثاني
في كل ركعات الصلاة معادة ، ... فيها ببسملة ، فخذ تبياني
واذا نسيت قرآتها في ركعة ... فاستوف ركعتها بغير توان
إتبع إمامك خافضاً أو رافعاً ، ... فكلاهما فعلان محمودان
لا ترفعنْ قبل الامام ولا تضع ، ... فكلاهما أمران مذمومان
ان الشريعة سنة وفريضة ، ... وهما لدين محمد عقدان
لكن أذان الصبح عند شيوخنا ... من قبل أن يتبين الفجران
هي رخصة في الصبح لا في غيرها ... من أجـل يقظة غافل وسنان
أحسن صلاتك راكعاً أو ساجداً ... بتطمؤنٍ وترفق وتدان
لا تدخلن الى صلاتك حاقناً ... فالاحتقان يخل بالاركان
بيِّت من الليل الصيام بنية ... من قبل أن يتميز الخيطان

يجزيك في رمضان نية ليله ، إذ ليس مختلطاً بعقد ثان
رمضان شهر كامل في عقدنا ، ما حله يوم ولا يومان
الا المسافر والمريض فقد أتى تأخير صومهما لوقت ثان
وكذاك حمل والرضاع كلاهما في فطره لنسائنا عذران
عجل بفطرك ، والسحور مؤخر ، فكلاهما أمران مرغوبان
حصن صيامك بالسكوت عن الخنا ، أطبق على عينيك بالأجفان

* * *

لاتمش ذا وجهين من بين الورى ، شر البرية من له وجهان
لا تحسدن أحداً على نعمائه ، ان الحسود لحكم ربك شاني
لا تسع بين الصاحبين نميمة ، فلأجلها يتباغض الخلان
والعين حق غير سابقة لما يقضى من الارزاق والحرمان
والسحر كفر فعله لا علمه ، من هاهنا يتفرق الحكمان
والقتل حد الساحرين اذا هم عملوا به للكفر والطغيان
وتحر بر الوالدين فانه فرض عليك ، وطاعة السلطان
لا تخرجن على الامام محارباً ولو انه رجل من الحبشان
ومتى أمرت ببدعة أو زلة فاهرب بدينك آخر البلدان
الدين رأس المال فاستمسك به فضياعه من أعظم الخسران
لا تخل بامرأة لديك بريبة ، لو كنت في النساك مثل بنان(١)
ان الرجال الناظرين الى النسا مثل الكلاب تطوف باللحمان
ان لم تصن تلك اللحوم أسودها أكلت بلا عوض ولا أثمان
لا تقبلن من النساء مودة فقلوبهن سريعة الميلان
لا تتركن أحداً بأهلك خالياً فعلى النساء تقاتل الاخوان
واغضض جفونك عن ملاحظة النسا ومحاسن الأحداث والصبيان

---

(١) بنان : هو ابو الحسن بنان بن محمد بن حمدان الحمال : كان مضرب المثل في العبادة والزهد . اصله من واسط ، ونشأته وإقامته في بغداد . وقد انتقل قبيل وفاته الى مصر ، ومات فيها في رمضان سنة ٣١٦ هـ - رحمه الله - .

لا تجعلن طلاق أهلك عرضة ، ان الطلاق لأخبث الأيمان
ان الطلاق مع العتاق كلاهما قسمان عند الله ممقوتان
واحفر لسرك في فؤادك ملحداً ، وادفنه في الأحشاء أي دفان
ان الصديق مع العدو كلاهما في السر عند أولي النهى شكلان
لا يبد منك الى صديقك زلة ، واجعل فؤادك أوثق الخلان
لا تحقرن من الذنوب صغارها ، فالقطر منه تدفق الخلجان
واذا نذرت فكن بنذرك موفياً ، فالنذر مثل العهد مسؤولان
لا تشغلن بعيب غيرك غافلا عن عيب نفسك ، انه عيبان
لا تفن عمرك في الجدال مخاصماً ، ان الجدال يخل بالأديان
واحذر مجادلة الرجال فانها تدعو الى الشحناء والشنآن
واذا اضطررت الى الجدال ولم تجد لك مهرباً وتلاقت الصفان
فاجعل كتاب الله درعاً سابغاً ، والشرع سيفك ، وابد في الميدان
والسنة البيضاء دونك جنة ، واركب جواد العزم في الجولان
واثبت بصبرك تحت ألوية الهدى ، فالصبر أوثق عدة الانسان
واطعن برمح الحق كل معاند ، لله در الفارس الطعان
واحمل بسيف الصدق حملة مخلص متجرد لله غير جبان
واحذر بجهدك مكر خصمك إنه كالثعلب البري في الروغان
أصل الجدال من السؤال ، وفرعه حسن الجواب بأحسن التبيان
لا تلتفت عند السؤال ولا تعد لفظ السؤال ، كلاهما عيبان
واذا غلبت الخصم لا تهزأ به ، فالعجب يخمد جمرة الإحسان
فلربما انهزم المحارب عامداً ، ثم انثنى فسطا على الفرسان
واسكت اذا وقع الخصوم وقعقعوا ، فلربما ألقوك في بحران
ولربما ضحك الخصوم لدهشة فاثبت ، ولا تنكل عن البرهان
فاذا أطالوا في الكلام فقل لهم : ان البلاغة ألجمت ببيان
لا تغضبن اذا سئلت ولا تصح ، فكلاهما خلقان مذمومان
واذا انقلبت عن السؤال مجاوباً ، فكلاهما لا شك منقطعان

واحذر مناظرة بمجلس خيفة ... حتى تبدل خيفة بأمان
ناظر أديباً منصفا لك عاقلا ، ... وانصفه أنت بحسب ما تريان
ويكون بينكما حكيم حاكماً ... عدلا ، اذا جئتاه تحتكمان

* * *

كن طول دهرك ساكتاً متواضعاً ، ... فهما لكل فضيلة بابان
واخلع رداء الكبر عنك فانه ... لا يستقل بحمله الكتفان
كن فاعلا للخير قوالاً له ، ... فالقول مثل الفعل مقترنان
من غوث ملهوف ، وشبعة جائع ، ... ودثار عريان ، وفدية عان
فاذا فعلت الخير لا تمنن به ، ... لا خير في متمدح منان
اشكر على النعماء واصبر للبلا ، ... فكلاهما خلقان ممدوحان
لاتشكون بعلة أو قلة ، ... فهما لعرض المرء فاضحتان
صن حر وجهك بالقناعة إنما ... صون الوجوه مروءة الفتيان
بالله ثق ، وله أنب ، وبه استعن ، ... فاذا فعلت فأنت خير معان
واذا عصيت فتب لربك مسرعاً ... حذر الممات ، ولا تقل : لم يان(١)
واذا ابتليت بعسرة فاصبر لها ، ... فالعسر فرد بعده يسران
لا تحش بطنك بالطعام تسمناً ، ... فجسوم أهل العلم غير سمان
لا تتبع شهوات نفسك مسرفاً ، ... فالله يبغض عابداً شهواني
أقلل طعامك مااستطعت فانه ... نفع الجسوم وصحة الأبدان
واملك هواك بضبط بطنك ، إنه ... شر الرجال العاجز البطناني
ومن استذل لفرجه ولبطنه ... فهما له مع ذا الهوى بطنان
حصن التداوي المجاعة والظما ، ... وهما لفك نفوسنا قيدان
أظمىء نهارك تُرو في دار العلا ... يوماً بطول تلهف العطشان
حسن الغذاء ينوب عن شرب الدوا ... سيما مع التقليل والادمان
إياك والغضب الشديد على الدوا ... فلربما أفضى الى الخذلان
دبر دواءك قبل شربك ، وليكن ... متألف الأجزاء والأوزان

(١) اي : لم يأن بعد .

وتداو بالعسل المصفى ، واحتجم   فهما لدائك كله برآن

لا تدخل الحمام شبعان الحشا ،   لاخير فى الحمام للشبعان

والنوم فوق السطح من تحت السما   يفني ، ويذهب نضرة الأبدان

لا تفن عمرك في الجماع ، فانه   يكسو الوجوه بحلة اليرقان

أحذرك من نفس العجوز وبضعها ،   فهما لجسم ضجيعها سقمان

عانق من النسوان كل فتية ،   أنفاسها كروائح الريحان

لاخير في صور المعازف كلها ،   والرقص والايقاع في القضبان

ان التقي لربه متنزه   عن صوت أوتار وسمع أغان

وتلاوة القرآن من أهل التقى   سيما بحسن شجا وحسن بيان

أشهى وأوفى في النفوس حلاوة   من صوت مزمار ونقر مثان

وحنينه في الليل أطيب مسمعاً   من نغمة النايات والعيدان

أعرض عن الدنيا الدنية زاهداً ،   فالزهد عند أولي النهى زهدان

زهد عن الدنيا وزهد في الثنا   طوبى لمن أمسى له الزهدان

لا تنتهب مال اليتامى ظالما ،   ودع الربا فكلاهما فسقان

واحفظ لجارك حقه وذمامه ،   والكل جار مسلم حقان

واضحك لضيفك حين ينزل رحله ،   ان الكريم يسر بالضيفان

واصل ذوي الأرحام منك وان جفوا   فوصالهم خير من الهجران

واصدق ولا تحلف بربك كاذباً ،   وتحر في كفارة الأيمان

وتوق أيمان الغموس ، فانها   تدع الديار بلاقع الحيطان

حد النكاح من الحرائر أربع ،   فاطلب ذوات الحسن والاحصان

لا تنكحن محدة في عدة   فنكاحها وزناؤها شبهان

عدد النساء لها فرائض أربع ،   لكن يضم جميعها أعلان

تطليق زوج داخل ، أو موته   قبل الدخول وبعده سيان

وحدودهن على ثلاثة أقرءٍ ،   أو أشهر ، وكلاهما جسران

وكذاك عدة من توفي زوجها   سبعون يوماً بعدها شهران

عدد الحوامل من طلاق أو فنا   وضع الأجنة صارخاً أو فاني

وكذاك حكم السقط في إسقاطه ،   حكم التمام كلاهما وضعان

من لم تحض ، أو من تقلص حيضها ، قد صح في كلتيهما العددان
كلتاهما تبقى ثلاثة أشهر حكماً هما في النص مستويان
عدد الجوار من الطلاق بحيضة ، ومن الوفاة الخمس والشهران
فبطلقتين تبين من زوج لها لا رد الا بعد زوج ثان
وكذا الحرائر فالثلاث تبينها ، فيحل تلك وهذه زوجان
فلتنكحا زوجيهما عن غبطة ورضى ، بلا دلس ولا عصيان
حتى اذا امتزج النكاح بدلسة ، فهما مع الزوجين زانيتان
اياك والتيس المحلل ، انه والمستحل لردها تيسان
لعن النبي محللا ومحللا فكلاهما في الشرع ملعونان
لاتضربن أمة ولا عبداً جنى فكلاهما بيديك مأسوران
أعرض عن النسوان جهدك وانتدب لعناق خيرات هناك حسان
في جنة طابت وطاب نعيمها من كل فاكهة بها زوجان
أنهارها تجري لهم من تحتهم محفوفة بالنخل والرمان
غرفاتها من لؤلؤ وزبرجد ، وقصورها من خالص العقيان
قصرت بها للمتقين كواعب شبهن (١) بالياقوت والمرجان
بيض الوجوه شعورهن حوالك ، حمر الخدود عواتق الاجفان
فلج الثغور اذا ابتسمن ضواحكا ، هيف الخصور نواعم الأبدان
خضر الثياب ، ثديهن نواهد ، صفر الحلي عواطر الأردان
طوبى لقوم هن أزواج لهم في دار عدن في محل أمان
يسقون من خمر لذيذ شربها بأنامل الخدام والولدان
لو تنظر الحوراء عند وليها ، وهما فويق الفرش متكآن
يتنازعان الكأس في أيديهما ، وهما بلذة شربها فرحان
ولربما تسقيه كأساً ثانياً ، وكلاهما برضابها حلوان
يتحدثان على الأرائك خلوة وهما بثوب الوصل مشتملان
أكرم بجنات النعيم وأهلها إخوان صدق أيما اخوان

---

(١) في الاصل : يشبهن .

جيران رب العالمين وحزبه ، أكرم بهم في صفوة الجيران
هم يسمعون كلامه ويرونه ، والمقلتان اليه ناظرتان
وعليهم فيها ملابس سندس ، وعلى المفارق أحسن التيجان
تيجانهم من لؤلؤ ، وزبرجد ، أو فضة من خالص العقيان
وخواتم من عسجد ، وأساور من فضة ، كسيت بها الزندان
وطعامهم من لحم طير ناعم كالبخت يطعم سائر الألوان
وصحافهم ذهب ، ودر فائق ، سبعون ألفاً فوق ألف خوان
ان كنت مشتاقاً لها كلفاً بها ، شوق الغريب لرؤية الأوطان
كن محسناً فيما استطعت فربما تجزى عن الاحسان بالاحسان
واعمل لجنـــات النعيم وطيبها ، فنعيمها يبقى وليس بفان
أدم الصيام مع القيام تعبداً ، فكلاهما عملان مقبولان
قم في الدجى ، واتل الكتاب ، ولا تنم الا كنومة حائر ولهان
فلربما تأتي المنية بغتة ، فتساق من فرش الى الاكفان
يا حبذا عينان في غسق الدجى من خشية الرحمن باكيتان
لا تقذفن المحصنات ، ولا تقل ما ليس تعلمه من البهتان
لا تدخلن بيوت قوم حضر الا بنحنحة أو استئذان
لا تجزعن اذا دهتك مصيبة ، إن الصبور ثوابه ضعفان
فاذا ابتليت بنكبة فاصبر لها ، الله حسبي وحده وكفاني
وعليك بالفقه المبين شرعنا ، وفرائض الميراث ، والقرآن
علم الحساب ، وعلم شرع محمد ، علمان مطلوبان متبعان
لولا الفرائض ضاع ميراث الورى وجرى خصام الولد والشيبان
لولا الحسـاب وضربـه وكسوره لم ينقسم سهم ولا سهمان
لا تلتمس علم الكلام فانه يدعو الى التعطيل والهيمان
لا يصحب البدعي الا مثله تحت الدخان تأجج النيران
علم الكلام ، وعلم شرع محمد ، يتغايران ، وليس يشتبهان

أخذوا الكلام عن الفلاسفة الألى   جحدوا الشرائع ، غرة وأمان

حملوا الأمور على قياس عقولهم   فتبلدوا كتبلد الحيران

مرجيهم يزري على قدريهم ،   والفرقتان لديّ كافرتان(١)

ويسب مختاريّهم دوريهم ،   والقرمطي ملاعن الرفضان

ويعيب كرّاميهم وهبيهم ،   وكلاهما يروي عن ابن أبان

لجاجهم شبه تخال ورونق   مثل السراب يلوح للظمآن

دع أشعريهم ومعتزليهم   يتنافرون تنافر الغربان

كل يقيس بعقله سبل الهدى ،   ويتيه تيه الواله الهيمان

فالله يجزيهم بما هم أهله ،   وله الثنا من قولهم براني(٢)

من قاس شرع محمد في عقله   قذفت به الأهواء في غدران

لا تفتكر في ذات ربك ، واعتبر   فيما به يتصرف الملوان

والله ربي ما تكيف ذاته   بخواطر الأوهام والأذهان

أمرر أحاديث الصفات كما أتت   من غير تفسير ولا هذيان

هو مذهب الزهري ووافق مالك ،   وكلاهما في شرعنا علمان

لله وجه لا يحد بصورة   ولربنا عينان ناظرتان

وله يدان كما يقول إلهنا ،   ويمينه جلت عن الأيمان

كلتا يدي ربي يمين وصفها ،   فهما على الثقلين منفقتان

كرسيه وسع السموات العلى ،   والأرض وهو يعمه القدمان

والله يضحك لا كضحك عبيده ،   والكيف ممتنع على الرحمن

والله ينزل كل آخر ليلة   لسمائه الدنيا بلا كتمان

فيقول : هل من سائل فأجيبه ؟   فأنا القريب أجيب من ناداني

حاشا الاله بأن تكيف ذاته ،   فالكيف والتمثيل منتفيان

والأصل أن الله ليس كمثله   شيء ، تعالى الرب ذو الاحسان

وحديثه القرآن وهو كلامه ،   صوت وحرف ليس يفترقان

---

(١) هذا غلو من المصنف .   (٢) يريد : برأني الله من قولهم .

ألسننا نشبه ربنا بعباده ، رب وعبد كيف يشتبهان ؟!
فالصوت ليس بموجب تجسيمه ، اذ كانت الصفتان تختلفان
حركات ألسننا وصوت حلوقنا مخلوقة ، وجميع ذلك فان
وكما يقول الله ربي لم يزل حياً وليس كسائر الحيوان
وحياة ربي لم تزل صفة له ، سبحانه من كامل ذي الشان
وكذاك صوت آلهنا ونداؤه حقاً أتى في محكم القرآن
وحياتنا بحرارة وبرودة ، والله لا يعزى له هذان
وقوامها برطوبة ويبوسة ، ضدان أزواج هما ضدان
سبحان ربي عن صفات عباده أو أن يكون مركباً جسداني
اني أقول فأنصتوا لمقالتي يامعشر الخلطاء والاخوان
ان الذي هو في المصاحف مثبت بأنامل الأشياخ والشبان
هو قول ربي آيه وحروفه ، ومدادنا والرق مخلوقان
من قال في القرآن ضد مقالتي فالعنه كل اقامة وأذان
هو في المصاحف والصدور حقيقة ، أيقن بذلك أيما إيقان
وكذا الحروف المستقر حسابها عشرون حرفاً بعدهن ثمان
هي من كلام الله جل جلاله حقاً ، وهن أصول كل بيان
حاء ، وميم ، قول ربي وحده ، من غير أنصار ولا أعوان
من قال في القرآن ما قد قاله عبد الجليل وشيعة اللحيان
فقد افترى كذباً وإثماً واقتدى بكلاب كلب معرة النعمان
خالطتهم حيناً فلو عاشرتهم لضربتهم بصوارمي ولساني
تعس العمي أبو العلاء فانه قد كان مجموعاً له العميان
ولقد نظمت قصيدتين بهجوه ، أبيات كل قصيدة مئتان
والآن أهجو الأشعري وحزبه وأذيع ما كتموا من البهتان
يامعشر المتكلمين غدوتم عدوان أهل السبت والحيتان

كفرتم أهل الشريعة والهدى ، وطعنتم بالبغي والعدوان
فلأنصرن الحق حتى إنني(١) أسطو على ساداتكم بطعاني
الله صيرني عصا موسى لكم حتى تلقف إفككم ثعباني
بأدلة القرآن أبطل سحركم ، وبه أزلزل كل من لا قاني
هو ملجئي هو مدرئي هو مُنجني من كيد كل منافق خوان
ان حل مذهبكم بأرض أجدبت ، أو أصبحت قفراً بلا عمران
والله صيرني عليكم نقمة ، ولهتك ستر جميعكم أبقاني
أنا في حلوق جميعكم عود الشجا ، أعيا أطبتكم غموض مكاني
أنا حية الوادي ، أنا أسد الشرى ، أنا مرهف ماضي الغرار يماني
بين ابن حنبل وابن إسماعيلكم سخط يذيقكم الحميم الآن
داريتم علم الكلام تشزراً ، والفقه ليس لكم عليه يدان
الفقه مفتقر لخمس دعائم ، لم يجتمع منها لكم ثنتان
حلم ، وإتباع لسنة أحمد ، وتقى ، وكف أذى ، وفهم معان
آثرتم الدنيا على أديانكم ، لا خير في دنيا بلا أديان
وفتحتم أفواهكم وبطونكم ، فبلعتم الدنيا بغير توان
كذبتم أقوالكم بفعالكم ، وحملتم الدنيا على الأديان
قراؤكم قد أشبهوا فقهاءكم ، فئتان للرحمن عاصيتان
يتكالبان على الحرام وأهله فعل الكلاب بجيفة اللحمان
يا أشعرية هل شعرتم أنني رمد العيون وحكمة الأجفان
أنا في كبود الأشعرية قرحة أربو فأقتل كل من يشناني
ولقد برزت الى كبار شيوخكم فصرفت منهم كل من ناواني
وقلبت أرض حجاجهم ، ونثرتها ، فوجدتها قولا بلا برهان
والله أيدني وثبت حجتي ، والله من شبهاتهم نجاني
والحمد لله المهيمن دائماً حمداً يلقح فطنتي وجناني

* * *

أحسبتم يا أشعرية أنني ممن يقعقع خلفه بشناني

---

(١) في الاصل انه .

أفتستر الشمس المضيئة بالسها ؟ أم هل يقاس البحر بالخلجان ؟!
عمري ، لقد فتشتكم فوجدتكم حمراً بلا عنن ولا أرسان
أحضرتكم ، وحشرتكم ، وقصدتكم ، وكسرتكم كسراً بلا جبران
أزعمتمُ أن القران عبارة فهما كما تحكون قرآنان
ايمان جبريل وايمان الذي ركب المعاصي عندكم سيان ؟!
هذا الجويهر والعريض بزعمكم ، أهما لمعرفة الهدى أصلان ؟!
من عاش في الدنيا ولم يعرفهما ، وأقر بالاسلام والفرقان ،
أفمسلم هو عندكم أم كافر ؟ أم عاقل ، أم جاهل ، أم واني ؟
عطلتم السبع السموات العلى ، والعرش أخليتم من الرحمن
وزعمتمُ أن البلاغ لأحمد في آية من جملة القرآن
هذي الشقاشق ، والمخارف ، والهوى ، والمذهب المستحدث الشيطاني
سميتمُ علم الأصول ضلالة كاسم النبيذ لخمرة الأدنان
ونعت محارمكم على أمثالكم ، والله عنها صانني وحماني
اني اعتصمت بحبل شرع محمد ، وعضضته بنواجذ الأسنان

* * *

أشعرتم يا أشعرية أنني طوفان بحر ، أيما طوفان ؟!
أنا همكم ، أنا غمكم ، أنا سقمكم ، أنا سمكم في السر والاعلان
أذهبتمُ نور القران وحسنه من كل قلب واله لهفان
فوحق جبار على العرش استوى من غير تمثيل كقول الجاني
ووحق من ختم الرسالة والهدى بمحمد فزها به الحرمان
لأقطّعن بمعولي أعراضكم ما دام يصحب مهجتي جثماني
ولأهجونكمُ ، وأثلب حزبكم حتى تغيّب جثتي أكفاني
ولأهتكن بمنطقي أستاركم حتى أبلغ قاصياً أو داني
ولاهجون صغيركم وكبيركم غيظا لمن قد سبنى وهجاني
ولأنزلن بكم أليم صواعقي ، ولتحرقن كبودكم نيراني
ولأقطعن بسيف حقي زوركم ، وليخمدن شواظكم طوفاني
ولأقصدن الله في خذلانكم ، وليمنعن جميعكم خذلاني

ولأحملن على عتاة طغاتكم حمل الأسود على قطيع الضان
ولأرمينكمُ بصخر مجانقي حتى يهد عتوكم سلطاني
ولاكتبن الى البلاد بسبكم ، فيسير سير البزل بالركبان
ولأدحضن بحجتي شبهاتكم حتى يغطي جهلكم عرفاني
ولأغضبن لقول ربي فيكم غضب النمور وجملة العقبان
ولأضربنكم بصارم مقولي ضرباً يزعزع أنفس الشجعان
ولأسعطن من الفضول أنوفكم سعطاً يعطس منه كل جبان
اني بحمد الله عند قتالكم لمحكم في الحرب ثبت جنان
واذا ضربت فلا تخيب مضاربي ، واذا طعنت فلا يروغ طعاني
واذا حملت على الكتيبة منكمُ مزقتها بلوامع البرهان
الشرع والقرآن أكبر عدتي ، فهما لقطع حجاجكم سيفان
ثقلا على أبدانكم ورؤوسكم ، فهما لكسر رؤوسكم حجران
إن أنتم سالمتم سولمتم وسلمتم من حيرة الخذلان
ولئن أبيتم واعتديتم في الهوى فنضالكم في ذمتي وضماني
يا أشعرية يا أسافلة الورى يا عمي يا صم بلا آذان
اني لأبغضكم وأبغض حزبكم بغضاً أقل قليله أضناني
لو كنت أعمى المقلتين لسرني كيلا يرى انسانكم انساني
تغلي قلوبكم عليّ بحرها حنقاً ، وغيظاً ، أيما غليان
موتوا بغيظكم ، وموتوا حسرة ، وأسى عليّ ، وعض كل بنان
قد عشت مسروراً ، ومت مخفراً ، ولقيت ربي سرني ورعاني
وأباحني جنات عدن آمناً ، ومن الجحيم بفضله عافاني
ولقيت أحمد في الجنان وصحبه ، والكل عند لقائهم أدناني
لم أدخر عملا لربي صالحاً ، لكن باسخاطي لكم أرضاني
أنا ثمرة الأحباب حنظلة العدى ، أنا غصة في حلق من عاداني
وأنا المحب لأهل سنة أحمد ، وأنا الأديب الشاعر القحطاني

* * *

سل عن بني قحطان كيف فعالهم يوم الهياج اذا التقى الزحفان

سل كيف نثرهم الكلام ونظمهم ، وهما لهم سيفان مسلولان
نصروا بألسنة حداد سلق مثل الأسنة أشرعت لطعان
سل عنهم عند الجدال اذا التقى منهم ومن أضدادهم خصمان
نحن الملوك بنو الملوك وراثة أسد الهياج وأبحر الاحسان
لا قومنا بخلا ، ولا بأذلة عند الحروب ، ولا النسا بزواني

* * *

يا أشعرية ، يا جميع من ادعى بدعاً ، وأهواءً ، بلا برهان
جاءتكم سنية مأمونة من شاعر ذرب اللسان معان
خرز القوافي بالمدائح والهجا ، فكأن جملتها لدي عواني
يهوى فصيح القوم من لهواته كالصخر يهبط من ذرى كهلان
اني قصدت جميعكم بقصيدة هتكت ستوركم على البلدان
هي للروافض درة عمرية ، تركت رؤوسهم بلا آذان
هي للمنجم ، والطبيب ، منية ، فكلاهما ملقان مختلفان
هي في رؤوس المارقين شقيقة ، ضربت لفرط صداعها الصدغان
هي في قلوب الأشعرية كلهم صاب ، وفي الأجساد كالسعدان
لكن لأهل الحق شهداً صافياً أو تمر يثرب ذلك الصيحاني
وأنا الذي حبرتها ، وجعلتها منظومة كقلائد المرجان
ونصرت أهل الحق مبلغ طاقتي ، وصفعت كل مخالف صفعان
مع أنها جمعت علوماً جمة مما يضيق لشرحها ديواني
أبياتها مثل الحدائق تجتنى سمعاً ، وليس يملهن الجاني
وكأن رسم سطورها في طرسها وشي تنمقه أكف غواني
والله أسأله قبول قصيدتي مني ، وأشكره لما أولاني
صلى الاله على النبي محمد ما ناح قمريّ على الأغصان
وعلى جميع بناته ونسائه ، وعلى جميع الصحب والاخوان
بالله قولوا كلما أنشدتم : رحم الاله صداك يا قحطاني

تمت بحمد الله

وقلت مادحاً ومقرظاً هذه القصيدة الغراء ، وصادحاً ومعرضاً بفضل ناسخ فوائدها ، وناسق فرائدها ، التي هي قرة عين القراء ، وأنا الفقير الى رحمة الملك المنان علي بن سليمان ، أسبل عليها الرحمن رداء العفو والغفران :

يامن يروم نجاته يوم الجزا ... والفوز بالجنات والرضوان
اسمع وصية ناصح يهدي الى ... دين الاله وسنة العدناني
قرت بها عين الشريعة ، وارتوت ... منها رياض الفضل والاحسان
وتفجرت منها ينابيع الهدى ، ... فجلت صدا التعطيل والبهتان
وبدا لنا منها صباح مسفر ، ... لكن يراه من له عينان
فاتبع مسالكها وسر في ضوئها ، ... واحذر سلوك مناهج الشيطان
نظمت لآليها قريحة جهبذ ... حاز الفخار بحلبة الفرسان
وسما على أقرانه بفخاره ... فلك العلى والفخر ياقحطاني
فلقد حميت حمى الشريعه بعدما ... مدت اليـــه يد الخبيث الجاني
وضربت هام المعتدي بمهند ... عضب ، صقيل الشفرتين يمـــاني
فتركته متجندلاً في صحصح ، ... والحق يزهق كل ذي بطلان
ولقد حرصت على الورى ، وهديتهم ... لمناهج الايمـــان والعرفان
فجزاك رب العرش خير جزائه ؛ ... وحباك في الفردوس بالولدان
وصلاة ربي والسلام مضاعف ... لمحمد ، والآل كل زمان



عقيدة

العلّامة الشيخ أحمد بن ابراهيم الواسطي الشّافعي

المعروف بابن شيخ الحزاميين رحمه الله تعالى

هو الامام العالم الصالح ابو العباس احمد بن ابراهيم الواسطي ابن شيخ الحزاميين [1]

ولد سنة ٦٥٧ بواسط، وقرأ الفقه في بلده على مذهب الامام الشافعي، ثم رحل الى بغداد والقاهرة ودمشق حيث استقر فيها، وصحب شيخ الاسلام الامام ابن تيمية، وصار الى مذهب الامام احمد بن حنبل ، وألف في الفقه والدعوة الى اقتفاء السنة والرد على المبتدعة . وكان رحمه الله عابداً زاهداً داعياً الى الله عز وجل ، وأثنى عليه شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله : هو جنيد وقته ، توفي في دمشق سنة ٧١١ ودفن فيها بسفح قاسيون .

---

(١) في الاصل: ابن شيخ الحرمين، وهو خطأ، صوابه ما أثبتناه .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كان ولا مكان ، ولا إنس ولا جان ، ولا طائر ولا حيوان ، المتفرد بوحدانيته في قدم أزليته ، والدائم في فردانيته في قدس صمدانيته ، ليس له سمي ولا وزير ، ولا شبه له ولا نظير ، المقتدر بالخلق والتصوير ، المتصرف بالمشيئة والتقدير ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير .

له الرفعة والحمد والثناء ، والعلو والاستواء ، لا تحصره الأجسام ، ولا تصوره الأوهام ، ولا تقله الحوادث والأجرام ، ولا تحيط به العقول والأفهام .

له الاسماء الحسنى ، والشرف الأتم الأسنى ، والدوام الذي لا يبيد ولا يفنى .

نصفه بما وصف به نفسه ، من الصفات التي توجب عظمته وقدسه ، مما أنزله في كتابه ، وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم في خطابه .

ونؤمن بأنه الله الذي لا اله هو الحي القيوم ، السميع البصير العليم ، القدير الرحمن الرحيم ، الملك القدوس العظيم ، لطيف خبير ، قريب مجيب ، متكلم شاء مريد ، فعال لما يريد ، يقبض ويبسط ، ويرضى ويغضب ، ويحب ويبغض ، ويكره ويضحك ، ويأمر وينهى ، ذو الوجه الكريم ، والسمع السميع ، والبصر البصير ، والكلام المبين ، واليدين والقبضتين ، والمقدرة والسلطان ، والعظمة والامتنان ، لم يزل كذلك ولا يزال ، استوى على عرشه ، فبان من خلقه ، لا يخفى عليه منهم خافية ، علمه بهم محيط ، وبصره بهم نافذ ، وهو في ذاته وصفاته لا يشبهه شيء من مخلوقاته ، ولا تمثل بشيء من جوارح مبتدعاته ، بل هي صفات لائقة بجلاله وعظمته ، لا تتخيل كيفيتها الظنون ، ولا تراها في الدنيا العيون ، بل نؤمن بحقائقها وثبوتها ، ونصف الرب سبحانه وتعالى بها ، وننفي عنها تأويل المتأولين ، وتعطيل الجاحدين ، وتمثيل المشبهين ، تبارك الله أحسن الخالقين .

فبهذا الرب نؤمن ، وإياه نعبد ، وله نصلي ونسجد ، فمن قصد بعبادته الى إله ليست له هذه الصفات ، فانما يعبد غير الله ، وليس معبوده ذلك بإله ، فكفرانه لا غفرانه .

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، اصطفاه لرسالته ، واختاره لبريته ، وأنزل عليه كتابه المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أكرم آل وأفضل عبيد .

وبعد فهذه نصيحة كتبتها الى اخواني في الله ، أهـــل الصدق والصفاء ، والاخلاص والوفاء ، لما تعين علي محبتهم في الله ، ونصيحتهم في صفات الله ، فان المرء لا يكمل إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه . وفي «الصحيحين» : عن جرير بن عبد الله البجلي ، قال : « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم » .

وعن تميم الداري ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الدين النصيحة ، ثلاثاً ، قلنا . لمن يارسول الله ؟ قال : لله ، ولكتابه، ولرسوله ،ولأئمة المسلمين ، وعامتهم » .

وأعرفهم - أيدهم الله بتأييده ، ووفقهم لطاعته ومزيده - أنني كنت برهة من الدهر متحيراً في ثلاث مسائل : (مسألة الصفات) ، (ومسألة الفوقية) ، (ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد) ، وكنت متحيراً في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك ، من تأويل الصفات وتحريفها ، أو امرارها ، أو الوقوف فيها ، أو اثباتها بلا تأويل ، ولا تعطيل ، ولا تشبيه ولا تمثيل ، فأجد النصوص في كتاب الله وسنة رسوله ناطقة مبينة لحقائق هذه الصفات ، وكذلك في اثبات العلو والفوقية ، وكذلك في الحرف والصوت .

ثم أجد المتأخرين من المتكلمين في كتبهم ، منهم من تأول الاستواء بالقهر والاستيلاء ، وتأول النزول بنزول الأمر ، وتأول اليدين بالنعمتين والقدرتين ، وتأول القدم بقدم صدق عند ربهم ، وامثال ذلك . . ثم أجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله معنى قائماً بالذات ، بلا حرف ولاصوت ، ويجعلون هـــذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم .

وممن ذهب الى هذه الاقوال أو بعضها قوم لهم في صدري منزلة ، مثل

بعض فقهاء الاشعرية الشافعيين، لأني على مذهب الشافعي رحمه الله تعالى، عرفت فرائض ديني وأحكامه، فأجد مثل هؤلاء الشيوخ الأجلة يذهبون الى مثل هذه الاقوال وهم شيوخي، ولي فيهم الاعتقاد التام لفضلهم وعلمهم. ثم انني مع ذلك أجد في قلبي من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبي اليها، وأجد الكدر والظلمة منها، وأجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقروناً بها، فكنت كالمتحير المضطرب في تحيره، المتململ من قلبه في تقلبه وتغيره، وكنت أخاف من اطلاق القول بإثبات العلو، والاستواء، والنزول، مخافة الحصر والتشبيه.

ومع ذلك فاذا طالعت النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله، أجدها نصوصاً تشير الى حقائق هذه المعاني، وأجد الرسول صلى الله عليه وسلم قد صرح بها، مخبراً عن ربه، واصفاً، له بها، وأعلم بالاضطرار أنه صلى الله عليه وسلم كان يحضر في مجلسه الشريف العالم، والجاهل، والذكي، والبليد، والأعرابي الجافي، ثم لا أجد شيئاً يعقب تلك النصوص، التي كان صلى الله عليه وسلم يصف بها ربه، لا نصاً ولا ظاهراً، مما يصرفها عن حقائقها، ويؤولها كما تأولها هؤلاء - مشايخي الفقهاء المتكلمون - مثل تأويلهم الاستواء بالاستيلاء، والنزول بنزول الأمر وغير ذلك.. ولم أجد عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يحذر الناس من الايمان بما يظهر من كلامه في صفة لربه من الفوقية واليدين وغيرهما، مثل أن ينقل عنه مقالة تدل على أن لهذه الصفات معاني أخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها، مثل فوقية المرتبة، ويد النعمة، وغير ذلك. وأجد الله عز وجل يقول: (الرحمن على العرش استوى) طه: ٥٢ (خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) الحديد: ٤ في سبعة مواضع، وقال الله تعالى: (يخافون ربهم من فوقهم) النحل: ٥٠، وقال الله تعالى: (اليه يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه) فاطر: ١٠، وقال الله تعالى: (بل رفعه الله اليه) النساء: ١٥٨، وقال الله تعالى: (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فاذا هي تمور. أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا) الملك: ١٦، ١٧ وقال الله تعالى: (قل نزله روح القدس من ربك)، وقال الله عن فرعون: (ياهامان، ابن لي صرحاً، لعلي ابلغ الأسباب. أسباب السموات، فاطلع الى إله موسى، واني لأظنه كاذباً) غافر: ٣٦، وهذا يدل على أن موسى أخبره بأن ربه تعالى فوق السماء، ولهذا قال: (واني لاظنه كاذباً)،

وقال : (من الله ذي المعارج ، تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) . المعارج : ٤،٥

ثم أجد الرسول صلى الله عليه وسلم لما أراد الله أن يخصه بقربه ، عرج به من سماء الى سماء ، حتى كان قاب قوسين أو أدنى .

ثم قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ، للجارية : «اين الله ؟» فقالت : في السماء ، فلم ينكر عليها بحضرة أصحابه كي لا يتوهموا أن الأمر خلاف ماهو عليه ، بل أقرها ، وقال : «اعتقها ، فإنها مؤمنة» ، وعن معاوية بن الحكم السلمي ، قال قلت : يارسول الله ، أفلا أعتقها ؟ قل : « ادعها » فدعوناها ، فقال لها : « أين الله ؟ » قالت : في السماء ، قال : « من أنا ؟ » قالت : أنت رسول الله ، قال : « أعتقها ، فانها مؤمنة ». رواه مسلم ، ومالك في «موطئه» .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء » أخرجه الترمذي ، وقال : حسن صحيح .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من اشتكى منكم بأساً ، أو اشتكى أخ له فليقل : ربّنا الله الذي في السماء ، تقدس اسمك ، أمرك في السماء والارض ، كما رحمتك في السماء والأرض ، اغفر لنا حوبنا وخطايانا ، أنت رب الطيبين ، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع ، فيبرأ » أخرجه أبوداود . (١)

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : « بعث عليّ من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ لم تحصل في ترابها ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أربعة . زيد الخير ، والأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن ، وعلقمة بن علاثة ، أو عامر بن الطفيل ، شك عمارة ، فوجد (٢) من ذلك بعض الصحابة من الأنصار وغيرهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ، يأتيني خبر السماء مساء وصباحاً ؟! » أخرجه البخاري ، ومسلم .

وعن ابن أبي ذئب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أن الميت تحضره الملائكة ، فاذا كان الرجل الصالح قالوا : اخرجي أيتها النفس الطيبة ، كانت في الجسد الطيب ، اخرجي حميدة ، وأبشري بروح وريحان ، ورب غير غضبان ،

(١) رقم (٣٨٩٢) وفي سنده زيادة بن محمد ، قال الحافظ بن حجر عنه في «التقريب» فكر الحديث.

(٢) اي : غضب .

فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها ، فيقال : من هذا ؟ فيقول : فلان، فيقولون : مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ، أدخلي حميدة ، وأبشري بروح وريحان ، ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها الى السماء التي فيها الله عز وجل »... الحديث (١) .

وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته الى فراشه فتأبى عليه ، الا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها ، أخرجه البخاري ، ومسلم .

وعن أبي داود ، ثنا محمد بن الصباح ، ثنا الوليد بن أبي ثور . عن سماك ، عن عبد الله بن عميرة ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب ، قال : « كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليـــه وسلم فمرت بهم سحابة ، فنظر اليها فقال : « ماتسمون هـــذه ؟ » قالوا : السحاب ، قال : « والمزن ؟ » قالوا : والمزن ، قال : « والعنان ؟ » قالوا : والعنان ، قال : « هل تدرون بعد ما بين السماء والارض ؟ » قالوا : لاندري . قال : « ان بعد ما بينهما اما واحدة ، واما اثنتان ، واما ثلاثة وسبعون سنة ، ثم السماء فوق ذلك ، حتى عـــد سبع سموات ثم فوق السماء السابعة بحر بين اسفله وأعلاه مثل ما بين سماء الى سماء ، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال ، بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء الى سماء ، ثم على ظهورهم العرش أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء ، الى سماء ثم الله عز وجل فوق ذلك .(١)

وعن ابي هريرة رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق : ان رحمتي سبقت غضبي ، وهو عنده فوق العرش » أخرجه البخاري .

وعن محمد بن اسحاق عن معبد بن كعب بن مالك ، أن سعد بن معاذ لما حكم في بني قريظة قال له رسول الله صلى الله عليه وســـلم : لقد حكمت حكماً حكم الله به من فوق سبعة أرقعة »

وحديث المعراج : عن أنس بن مالك ، ان مالك بن صعصعة حدثه : أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به ، وساق الحديث... الى أن قال : « فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم وليلة ، فرجعت ، فمررت على

---

(١) رواه ابن ماجة رقم (٤٢٦٢) عن ابي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه ابو داود رقم (٤٧٢٣) وفي سنده « الوليد بن ابي ثور » قال الحافظ ابن حجر عنه في « التقريب » ضعيف . وفية ايضاً « عبد الله بن عميرة » قال الذهبي : فيه جهالة .

موسى، فقال: بم أمرت ؟ قال : أمرت بخمسين صلاة كل يوم وليلة ، قال : ان أمتك لا تستطيع خمسين صلاة ، واني قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة ، فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأُمتك ، قال : فرجعت ، فوضع عني عشراً ، فرجعت الى موسى فقال مثل ذلك ، فرجعت الى ربي فوضع عني عشرا ، خمس مرات ، في كلها ، يقول : رجعت الى موسى ، ثم رجعت الى ربي » . أخرجه البخاري ، ومسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يتعاقبون فيكم ، ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر ، وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ربهم ، وهو بهم أعلم ، كيف تركتم عبادي ... ؟ » الحديث ، متفق عليه .

وعن ابن عمر ، قال : « لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه أبو بكر ، فأكب عليه ، وقبل وجهه وقال : بأبي أنت وأمي ، طبت حياً وميتاً ، وقال : من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله في السماء حي لا يموت » . رواه البخاري

وعن محمد بن فضل عن فضيل بن غزوان . عن نافع ، عن ابن عمر ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : « كانت زينب تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وتقول : ان الله زوجني من السماء ، وفي لفظ : زوجكن أهلوكن ، وزوجني الله من فوق سبع سموات » . اخرجه البخاري .

وفي حديث جبير بن مطعم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله فوق عرشه ، فوق سماواته ، وسماواته فوق أرضه مثل القبة ، وأشار النبي صلى الله عليه وسلم بيده مثل القبة » .

وحديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يرحم من في الارض لم يرحمه من في السماء » .

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى عليه وسلم لما أسري به مرت به رائحة طيبة . فقال : « ياجبريل ، ماهذه الرائحة ؟ فقال : هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وكانت تمشطها فوقع المشط من يدها ، فقالت : بسم الله ، فقالت ابنته : أبي ؟ فقالت : لا بل رب أبيك . فأخبرت أباها ،

فدعا بها ، فقال: ألك رب غيري ؟ قالت : ربي وربك الله الذي في السماء . وأمر بنقرة نحاس، فأحميت ثم دعا بها وبولدها فالقاهما فيها. . » .الحديث. رواه الدارمي وغيره .

وروى الدارمي ، وغيره باسناده الى أبي صالح . عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما ألقي ابراهيم في النار ، قال: اللهم ، انك في السماء واحد ، وأنا في الارض واحد أعبدك » .

واما الآثار عن الصحابة في ذلك فكثيرة ، منها :

قول عمر رضي الله عنه ، عن خولة لما استوقفته فوقف لها، فسئل عنها ، فقال : هذه امرأة سمع الله شكواها من فرق سبع سموات .

وعبد الله بن رواحة لما وقع على جارية له ، فقالت امرأته: فعلتها !! فقال : أما أنا فأقرأ القرآن ، فقالت : أما أنت فلا تقرأ القرآن وأنت جنب ، فقال :

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة كرام ملائكة الاله مسومينا

وابن عباس لما دخل على غائشة رضي الله عنها ، وهي في النزع ، فقال: كنت أحب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن يحب الا طيباً - وانزل الله براءتك من فوق سبع سموات .

وكذلك نجد أكابر العلماء ك: عبد الله بن المبارك رضي الله عنه ؛ صرح بمثل ذلك :

روى عثمان بن سعيد الدارمي ، قال : حدثنا الحسن بن الصباح ، قال : ثنا علي بن الحسن بن شقيق ؛ عن ابن المبارك ، قيل له : كيف نعرف ربنا ، قال : بأنه فوق السماء على العرش بائن من خلقه .

فصل

فلم أزل في هذه الحيرة والاضطراب من اختلاف المذاهب والأقوال ، حتى لطف الله بي ، وكشف لهذا الضعيف عن وجه الحق كشفاً اطمأن اليه

خاطره ، وسكن به سره ، وتبرهن الحق في نوره ، وأنا واصف بعض ذلك ان شاء الله تعالى .

والذي شرح الله صدري له في حكم هذه الثلاث المسائل :

الأولى : مسألة (العلو ، والفوقية ، والاستواء)

وهو : ان الله عز وجل كان ولا مكان ، ولا عرش ، ولا ماء ، ولا فضاء ، ولا هواء ، ولا خلاء ، ولا ملاء . وانه كان منفرداً في قدمه وأزليته ، متوحداً في فردانيته ، سبحانه وتعالى في تلك الفردانية ، لا يوصف بأنـــه فوق كذا ، اذ لا شيء غيره ، هو سابق التحت والفوق اللذين هما جهتا العالم ، وهما لازمان له ، والرب تعالى في تلك الفردانية منزه عن لوازم الحدوث .

فلما اقتضت الارادة المقدسة بخلق الاكوان المحدثة المخلوقة المحدودة ذوات الجهات ، اقتضت الارادة ان يكون الكون له جهات من العلو والسفل . وهو سبحانه منزه عن صفات الحدوث ، فكوّن الأكوان ، وجعل لها جهتي العلو والسفل .

واقتضت الحكمة الالهية أن يكون الكون في جهة التحت ، لكونه مربوباً مخلوقاً . واقتضت العظمة الربانية أن يكون هو فوق الكون ، باعتبار الكون المحدث لا باعتبار فردانيته ، اذ لا فوق فيها ولا تحت ، والرب سبحانه وتعالى كما كان في قدمه وأزليته وفردانيته لم يحدث له في ذاته ولا في صفاته ما لم يكن في قدمه وأزليته ، فهو الآن كما كان .

لكن لما أحدث المربوب المخلوق ذا الجهات ، والحدود ، والخلاء ، والملاء ، والفوقية ، والتحتية ، كان مقتضى حكم العظمة للربوبية أن يكون فوق ملكه ، وأن تكون المملكة تحته باعتبار الحدوث من الكون ، لا باعتبار القدم من المكون ، فاذا أشير اليه بشيء يستحيل أن يشار اليه من الجهة التحتية ، أو من جهة اليمنة أو اليسرة ، بل لا يليق أن يشار اليه الا من جهة العلو ، والفوقية ، ثم الاشارة هي بحسب الكون ، وحدوثه ، وأسفله . فالاشارة تقع على أعلى جزء من الكون حقيقة ، وتقع على عظمة الرب تعالى كما يليق به ، لا كما يقع على الحقيقة المعقولة عندنا في أعلى جزء من الكون ، فانها اشـــارة الى جسم ، وتلك اشارة الى اثبات .

اذا علم ذلك فالاستواء صفة له كانت في قدمه ، لكن لم يظهر حكمها الا عند خلق العرش ، كما ان الحساب صفة قديمـــة له لا يظهر حكمها إلا في

الآخرة . وكذلك التجلي في الآخرة لا يظهر حكمه الا في محله .

فاذا علم ذلك ؛ فالأمر الذي يهرب المتأولون منه ، حيث أولوا الفوقية بفوقية المرتبة ، والاستواء بالاستيلاء ، فنحن أشد النــاس هرباً من ذلك ، وتنزيهاً للباري سبحانه وتعالى عن الحد الذي يحصره ، فلا يحد بحد يحصره ، بل بحد تتميز به عظمة ذاته عن مخلوقاته . والاشارة الى الجهة انما هو بحسب الــكون وأسفله ، اذ لا يمكن الاشارة اليه الا هكذا .

وهو في قدمه سبحانه منزه عن صفات الحدوث ، وليس في القدم فوقية ولا تحتية ، وان من هو محصور في التحت لا يمكنه معرفة بارئه الا من فوقه ، فتقع الاشارة الى العرش حقيقة اشارة معقولة ، وتنتهي الجهات عند العرش ، ويبقى ما وراءه لا يدركه العقل ، ولا يكيفه الوهم ، فتقع الاشارة عليـــه كما يليق به مجملا مثبتاً ، لا مكيفاً ولا ممثلاً .

وجه آخر من البيان : هو أن الرب سبحانه ثابت الوجود ، ثابت الذات ، له ذات مقدسة متميزة عن مخلوقاته ، يتجلى يوم القيامة للابصار ، ويحاسب العالم فلا يجهل ثبوت ذاته وتميزها عن مخلوقاته ، فاذا ثبت ذلك ، فقد أوجد الأكوان في محل وحيز ، وهو سبحانه في قدمه منزه عن المحل والحيز ، فيستحيل شرعاً وعقلاً عند حدوث العالم أن يحل فيه ، أو يختلط به ، لأن القديم لا يحل في الحادث ، وليس هو محلا للحوادث ، فلزم أن يكون بائناً عنه ، وإذا كان بائناً عنه ، فيستحيل أن يكون العالم في جهة الفوق ، وأن يكون الرب سبحانه في جهة التحت ، هذا محال شرعاً وعقلاً ، فيلزم أن يكون فوقه بالفوقية اللائقة به التي لا تكييف ، ولا تمثل ، بل يعلم من حيث الجملة والثبوت ، لا من حيث التمثيل والتكييف .

وقد سبق الكلام في أن الاشارة الى الجهـة انما هو باعتبارنا ، لأنا في محل وحيز وحد ، والقدم لا فوق فيه ولا جهة . ولا بد من معرفة الموجد ، وقد ثبت بينونته عن مخلوقاته ، واستحالة علوها عليه ، فلا يمكن معرفته ، والاشارة بالدعاء اليه ، الا من جهة الفوق ، لأنها أنسب الجهات اليه ، وهو غير محصور فيها ، بل هو كما كان في أزليته وقدمه ، فاذا أراد المحدث أن يشير الى القديم فلا يمكنه ذلك الا بالاشارة الى الجهة الفوقية ، لأن المشير في محل له فوق وتحت ، والمشار اليه قديم باعتبار قدمه ، لا فوق هناك ولا تحت ، وباعتبار حدوثنا وتسلفنا هو

فوقنا . فاذا أشرنا اليه تقع الاشارة عليه كما يليق به ، لا كما نتوهمه في الفوقية المنسوبة الى الأجسام ؛ لكنا نعلمها من جهة الاجمال والثبوت لا جهة التمثيل ، والله الموفق للصواب .

ومن عرف هيئة العالم ، ومراكزه من علم الهيئة ، وأنه ليس له الا جهتا العلو والسفل ، ثم اعتقد بينونية خالقه عن العالم ، فمن لوازم البينونة أن يكون فوقه ، لأن جميع جهات العالم فوق ، وليس الا المراكز وهو الوسط .

فصل

اذا علمنا ذلك واعتقدناه ، تخلصنا من شبه التأويل ، وعماوة التعطيل ، وحماقة التشبيه والتمثيل ، وأثبتنا علو ربنا ، وفوقيته ، واستواءه على عرشه ، كما يليق بجلاله وعظمته ، والحق واضح في ذلك ، والصدر ينشرح له . فان التحريف تأباه العقول الصحيحة ، مثل تأويل الاستواء بالاستيلاء وغيره ، والوقوف في ذلك جهل وعي ، مع أن الرب سبحانه وصف لنا نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها ، فوقوفنا عن اثباتها ونفيها ، عدول عن المقصود منه في تعريفنا اياه ، فما وصف لنا نفسه بها الا لنثبت ماوصف به نفسه ؛ ولا نقف في ذلك . وكذلك التشبيه والتمثيل حماقة وجهالة ، فمن وفقه الله للاثبات بلا تحريف ، ولاتكييف ، ولا وقوف ، فقد وقع على الأمر المطلوب منه ان شاء الله تعالى .

فصل

والذي شرح الله به صدري ، في حال هؤلاء الشيوخ ، الذين أولوا الاستواء بالاستيلاء ، والنزول بنزول الأمر ، واليدين بالنعمتين والقدرتين ، هو علمي بأنهم ما فهموا في صفات الرب الا مايليق بالمخلوقين ، فما فهموا عن الله استواءً يليق به ، ولا نزولا يليق به ، ولايدين تليق بعظمته بلا تكييف ولاتشبيه ، فلذلك حرفوا الكلم عن مواضعه ، وعطلوا ما وصف الله به نفسه

ونذكر بيان ذلك ان شاء الله تعالى فنقول : لا ريب انا نحن واياهم متفقون على اثبات صفات الحياه ، والسمع ، والبصر ، والعلم ، والقدرة ، والارادة ، والكلام لله تعالى . ونحن قطعاً لا نعقل من الحياة الا هذا العرض الذي يقوم باجسامنا . وكذلك لا نعقل من السمع والبصر الا أعراضاً تقوم بجوارحنا . فكما أنهم يقولون : حياته ليست بعرض ، وعلمه كذلك ، وبصره كذلك ، هي صفات كما يليق به ، لا كما يليق بنا ، فكذلك نقول نحن : حياته معلومة وليست مكيفة ، وعلمه معلوم وليس مكيفاً ، وكذلك سمعه وبصره معلومان ، وليس جميع ذلك أعراضاً ، بل هو كما يليق به .

ومثل ذلك بعينه فوقيته واستواؤه ونزوله ، ففوقيته معلومة ـ أعني ثابتة كثبوت حقيقة السمع ، وحقيقة البصر ، فانهما معلومان ، ولا يكيفان ـ كذلك فوقيته معلومة ثابته غير مكيفة كما يليق به ، واستواؤه على عرشه معلوم ثابت كثبوت السمع والبصر ، غير مكيف ، وكذلك نزوله ثابت معلوم ، غير مكيف بحركة وانتقال يليق بالمخلوق ، بل كما يليق بعظمته وجلاله .

وصفاته معلومة من حيث الجملة والثبوت ، غير معقولة له من حيث التكييف والتحديد ، فيكون المؤمن بها مبصراً من وجه أعمي ، من وجه ، مبصراً من حيث الاثبات والوجود ، أعمى من حيث التكييف والتحديد . وبهذا يحصل الجمع بين الاثبات لما وصف الله به نفسه ، وبين نفي التحريف والتشبيه والوقوف ، وذلك هو مراد الله تعالى منا في ابراز صفاته لنا لنعرفه بها ، ونؤمن بحقائقها ، وننفي عنها التشبيه ، ولا نعطلها بالتحريف والتأويل ، لافرق بين الاستواء والسمع ، ولا بين النزول والبصر ، لأن الكل ورد في النص .

فان قالوا لنا : في الاستواء شبهتم .

نقول لهم : في السمع شبهتم ، ووصفتم ربكم بالعرض !!

وان قالوا : لا عرض ، بل كما يليق به . قلنا : في الاستواء والفوقية لا حصر ، بل كما يليق به ،

فجميع مايلزموننا في الاستواء ، والنزول ، واليد ، والوجه ، والقدم ، والضحك ، والتعجب ، من التشبيه ، نلزمهم به في الحياة ، والسمع ، والبصر ، والعلم . فكما لا يجعلونها أعراضاً ، كذلك نحن لا نجعلها جوارح ، ولا مما يوصف به المخلوق !!

وليس من الانصاف أن يفهموا في الاستواء ، والنزول ، والوجه ، واليد ، صفات المخلوقين ، فيحتاجون الى التأويل والتحريف . فان فهموا في هذه الصفات ذلك فيلزمهم أن يفهموا في الصفات السبع ، صفات المخلوقين من الأعراض !!

فما يلزمونا في تلك الصفات ، من التشبيه ، والجسمية ، نلزمهم في هذه الصفات من العرضية ، وما ينزهون ربهم به في الصفات السبع ، وينفونه عنه من عوارض الجسم فيها ، فكذلك نحن نعمل في تلك الصفات ، التي ينسبوننا فيها الى التشبيه سواء بسواء .

ومن أنصف ، عرف ما قلناه ، واعتقده ، وقبل نصيحتنا ، ودان الله باثبات جميع صفاته هذه وتلك ، ونفى عن جميعها التعطيل ، والتشبيه ، والتأويل ، والوقوف ، وهذا مراد الله تعالى منا في ذلك ، لأن هذه الصفات وتلك ، جاءت في موضع واحد ، وهو الكتاب والسنة : فاذا أثبتنا تلك بلا تأويل ، وحرفنا هذه ، وأولناها ، كان كمن آمن ببعض الكتاب ، و كفر ببعض ، وفي هذا بلاغ و كفاية .

فصل

واذا ظهر هذا التأويل وبان ، انحلت الثلاث المسائل بأسرها وهي :

مسألة الصفات من النزول والوجه واليد وامثالها .

ومسألة العلو والاستواء .

ومسألة الحرف والصوت .

أما مسألة العلو فقد مر ما فتحه الله تعالى .

وأما مسألة الصفات فتساق مساق مسألة العلو ، ولا يفهم منها ما يفهم من صفات المخلوقين ، بل يوصف الرب تعالى بها كما يليق بجلاله وعظمته ، فينزل كما يليق بجلاله وعظمته ، ويداه كما يليق بجلاله وعظمته ، ووجهه الكريم كما يليق بجلاله وعظمته ، و كيف ينكر الوجه الكريم ويحرف ؟! وقد قال سبحانه وتعالى : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والا كرام) الرحمن : ٢٧ . وقال صلى الله عليه

وسلم في دعائه : « نسألك لذة النظر الى وجهك » .

واذا ثبتت صفة الوجه بهذا الحديث ، وبغيره من الآيات والنصوص ، فكذلك صفة اليدين ، والضحك ، والتعجب . ولا يفهم من جميع ذلك الا ما يليق الله عز وجل بعظمته لا ما يليق بالمخلوقات من الأعضاء والجوارح ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .[1]

واذا ثبت هذا الحكم في الوجه ، فكذلك في اليدين ، والقبضتين ، والقدم ، والضحك ، والتعجب ، كل ذلك كما يليق بجلال الله وعظمته ، فيحصل بذلك اثبات ما وصف الله به نفسه في كتابه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويحصل أيضاً نفي التشبيه والتكييف في صفاته ، ويحصل أيضاً ترك التأويل والتحريف المؤدي الى التعطيل ، ويحصل بذلك أيضاً عدم الوقوف باثبات الصفات وحقائقها على ما يليق بجلال الله وعظمته ، لا على ما نعقل نحن من صفات المخلوقين .

وأما مسألة الحرف والصوت فتساق هذا المساق .

فان الله تعالى قد تكلم بالقرآن المجيد بجميع حروفه ، فقال تعالى : « آلمص » ، وقال : « ق ، والقرآن المجيد » .

وكذلك جاء الحديث : « فينادي يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب » . وفي الحديث : « لا أقول : « ألم » حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .

فهؤلاء ما فهموا من كلام الله الا ما فهموه من كلام المخلوقين ، فقالوا : اذا قلنا بالحرف ، فان ذلك يؤدي الى القول بالجوارح واللهوات . وكذلك اذا قلنا بالصوت ، أدى ذلك الى الحلق والحنجرة . فعملوا بهذا من التخبيط ، كما عملوا فيما تقدم من الصفات .

والتحقيق هو : ان الله تعالى تكلم بالحروف كما يليق بجلاله وعظمته ، فانه قادر ، والقادر لا يحتاج الى جوارح ولا الى لهوات . وكذلك له صوت يليق به يسمع ، ولا يفتقر ذلك الصوت المقدس الى الحلق والحنجرة . فكلام

---

(١) يعني ان الايمان بصفات الله ، كالايمان بذاته ، فكما اننا نؤمن بذات لا كالذوات ، كذلك نؤمن بصفات لاتشبه الصفات . فهو سبحانه واحد في ذاته ، واحد في صفاته ، واحد في افعاله .

الله كما يليق به ، وصوته كما يليق به . ولا ننفي الحرف والصوت عن كلامه سبحانه لافتقارهما منا الى الجوارح واللهوات ، فانهما في جناب الحق لا يفتقران الى ذلك . وهذا ينشرح الصدر له ، ويستريح الانسان به من التعسف والتكلف ، بقوله : هذا عبارة عن ذلك .

فان قيل : هذا الذي يقرؤه القارىء هو عين قراءة الله وعين تكلمه هو ؟

قلنا : لا ، بل القارىء يؤدي كلام الله ، والكلام انما ينسب الى من قاله مبتدئاً ، لا الى من قاله مؤدياً مبلغاً . ولفظ القارىء في غير القرآن مخلوق . وفي القرآن لا يتميز اللفظ المؤدى عن الكلام المؤدى عنه ، ولهذا منع السلف عن قول : لفظي بالقرآن مخلوق ، لأنه لا يتميز ، كما منعوا عن قول : لفظي بالقرآن غير مخلوق . فان لفظ العبد في غير التلاوة مخلوق ، وفي التلاوة مسكوت عنه ، كيلا يؤدي الكلام في ذلك الى القول بخلق القرآن . وما أمر السلف بالسكوت عنه ، يجب السكوت عنه . والله الموفق والمعين .

فصل

العبد اذا أيقن أن الله تعالى فوق السماء ، عال على عرشه بلا حصر ، ولا كيفية ، وأنه الآن في صفاته كما كان في قدمه ، كان لقلبه قبلة في صلاته ، وتوجهه ودعائه . ومن لا يعرف ربه بأنه فوق السماء على عرشه ، فانه يبقى ضائعاً لا يعرف وجهة معبوده ، لكن ربما عرفه بسمعه ، وبصره ، وقدمه ، وتلك بلا هذا معرفة ناقصة ، بخلاف من عرف أن الهه الذي يعبده فوق الأشياء ، فاذا دخل في الصلاة و كبر ، توجه قلبه الى جهة العرش ، منزهاً له تعالى ، مفرداً له كما أفرده في قدمه وأزليته ، عالماً أن هذه الجهات من حدودنا ولوازمنا ، ولا يمكننا الاشارة الى ربنا في قدمه وأزليته الا بها ، لأنا محدثون ، والمحدث لا بد له في اشارته الى جهة ، فتقع تلك الاشارة الى ربه كما يليق بعظمته ، لا كما يتوهمه هو من نفسه .

ويعتقد أنه في علوه قريب من خلقه ، وهو معهم بعلمه ، وسمعه ، وبصره واحاطته ، وقدرته ، ومشيئته ، وذاته ، فوق الاشياء ، فوق العرش ، ومتى

شعر قلبه بذلك في الصلاة أشرق قلبه، واستنار، وأضاء بأنوار المعرفة والايمان وعكفت أشعة العظمة على قلبه ، وروحه ، ونفسه ، فانشرح لذلك صدره ، وقوي ايمانه ، ونزه ربه عن صفات خلقه ، من الحصر والحلول ، وذاق حينئذ شيئاً من أذواق السابقين المقربين ، بخلاف من لا يعرف وجهة معبوده ، وتكون الجارية راعية الغنم أعلم بالله منه ، فانها قالت : « في السماء » عرفته بأنه في السماء لما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياجارية أين الله ؟ قالت : في السماء . وأقرها على ذلك . فان «في» تأتي بمعنى « على » كقوله : (يتيهون في الأرض) أي: على الارض ، و كقوله : (لأصلبنكم في جذوع النخل) أي : على جذوع النخل . فمن تكن الجارية أعلم بالله منه لكونه لايعرف وجهة معبوده ، فانه لايزال مظلم القلب ، لا يستنير بأنواع المعرفة والايمان . ومن أنكر هذا القول ، فليؤمن به ، وليجرب ، ولينظر الى مولاه من فوق عرشه بقلبه مبصراً من وجه ، أعمى من وجه كما سبق ؛ مبصراً من جهة الاثبات والوجود والتحقيق ، أعمى من جهة الحصر ، والتحديد ، والتكييف ، فانه اذا علم ذلك وجد ثمرته ان شاء الله تعالى ، ووجد بركته ونوره عاجلا وآجلا ، ولا ينبئك مثل خبير ، والله الموفق والمعين .

وقد تقرر في القرآن المجيد ذكر الفوقية ، كقوله : (يخافون ربهم من فوقهم) النحل : ٥٠ ، (اليه يصعد الكلم الطيب) فاطر : ١٠ ، (وهو القاهر فوق عباده) الأنعام : ١٨ . لأن فوقيته سبحانه وتعالى وعلوه على كل شيء ذاتي له ، فهو العلي بالذات ، والعلو صفته اللائقة به ، كما أن السفول والانحطاط ذاتي للأكوان عن رتبة ربوبيته ، وعظمته ، وعلوه . والعلو والسفل حد بين الخالق والمخلوق يتميز به عنه . وهو سبحانه عليٌّ بالذات ، كما كان قبل خلق الأكوان ، وما سواه متسفل بالذات . وهو سبحانه العلي على عرشه ، يدبر الأمر من السماء الى الارض ، ثم يعرج اليه فيحيي هذا ، ويميت هذا ، ويمرض هذا ، ويشفي هذا ، ويعز هذا ، ويذل هذا ، وهو الحي القيوم القائم بنفسه ، وكل شيء قائم به .

فرحم الله عبداً وصلت اليه هذه الرسالة ، ولم يعالجها بالانكار ، وافتقر الى ربه في كشف الحق آناء الليل وأطراف النهار ، وتأمل النصوص في الصفات ،

وفكر بعقله في نزولها وفي المعنى الذي نزلت له ، وما الذى اريد بعلمها من المخلوقات . ومن فتح الله قلبه عرف أنه ليس المراد الا معرفة الرب بها ، والتوجه اليه منها ، واثباته له بحقائقها وأعيانها كما يليق بجلاله وعظمته ، بلا تأويل ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل ، ولاجمود ولا وقوف ، وفي ذلك بلاغ لمن اعتبر ، وكفاية لمن استبصر .

وما أحسن ما قال ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم ابن الموصلي الطرابلسي مفتخراً بانتسابه لعقيدة شيخ الاسلام احمد ابن تيمية .

ان كان اثبات الصفات جميعها   من غير كيف موجباً اللوم
وأصير تيمياً بذلك عندكم   فالمسلمون جميعهم تيمي



القصيدة الميمية

للإمام العلّامة ابن قيّم الجوزية

هو شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي المعروف ب:ابن قيم الجوزية .

أحد الأئمة الاعلام ، كان اماماً في التفسير ، والحديث ، والفقه ، والاصول ، والعربية ، آمراً بالمعروف ،ناهياً عن المنكر . لازم شيخ الاسلام ابن تيمية ، وامتحن معه ، وأوذي مرات من علماء السوء وحكام الظلم ، وحبس منفرداً غن شيخه .

شهد له علماء زمانه بالتقوى والورع وكثرة العبادة ، وتشهد له مصنفاته بطول الباع في كل ما بحثه من علوم . وقد قاربت مؤلفاته مائة مجلد .

ولد سنة ٦٩١ وتوفي سنة ٧٥٢هـ ودفن بمقبرة الباب الصغير بدمشق . وقبره معروف حتى الآن ـ عليه رحمة الله ورضوانه .

وهذه ميمية الفاضل الجهبذ ، الامام العلامة ، فخر المسلمين

محمد شمس الدين ابن قيم الجوزية

أسكنه الله فسيح جنانه ، وصب على ثراه صيب عفوه وغفرانه.

قال عليه الرحمـــة :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

اذا طلعت شمس النهار فانها أمارة تسليمي عليكم فسلموا
سلام من الرحمن في كل ساعة وروح وريحان ، وفضـــل وأنعم
على الصحب والاخوان والولد والألى رعوهم باحسان فجادوا وأنعموا
وسائر من للسنة المحضة اقتفى وما زاغ عنها فهو حق مقدم
أولئك أتباع النبي وحزبه ولولاهم ما كان في الأرض مسلم
ولولاهمُ كادت تميد بأهلها ولكن رواسيها وأوتادها هم
ولولاهمُ كانت ظلاما بأهلها ولكن همُ فيها بدور وأنجم
اولئك أصحابي فحيَّ هلا بهم وحيَّ هلا بالطيبين وأنعم
لكل امرىءٍ منهم سلام يخصه يبلّغـــه الأدنى اليـــه وينعم
فيا محسناً ، بلغ سلامي ، وقل لهم : محبكمُ يدعو لكم ، ويسلم
ويالائمي في حبهم وولائهم تأمل ، هداك الله ، من هو ألوم
بأي دليل أم بأية حجة ترى حبهم عاراً عليَّ ، وتنقم
وما العار الا بغضهم واجتنابهم وحب عداهم ذاك عار ومأثم
أما والذي شق القلوب ، وأودع ال محبة فيها حيث لا تتصرَّم
وحملها قلب المحب ، وانه ليضعف عن حمل القميص ، ويألم
وذللها حتى استكانت لصولة المحبة ، لا تلوي ، ولا تتلعثم
وذلل فيها أنفساً دون ذلها حياض المنايا فوقها ، وهي حوَّم

لأنتم على قرب الديار وبعدها ... أحبتنا ، ان غبتم أو حضرتمُ
سلوا نسمات الريح كم قد تحملت ... محبة صب شوقه ليس يكتم !!
وشاهد هذا أنها في هبوبها ... تكاد تبث الوجد لو تتكلم
وكنت اذا ما اشتد بي الشوق والجوى ... وكادت عرى الصبر الجميل تفصم
أعلل نفسي بالتلاقي وقربه ... وأوهمها ، لكنها تتوهم
وأُتبع طرفي وجهة أنتمُ بها ... فلي بحماها مربع ومخيم
وأذكر بيتاً قاله بعض من خلا ... وقد ضل عنه صبره فهو مغرم
أسائل عنكم كل غاد ورائح ... وأومي الى أوطانكم وأسلم
وكم يصبر المشتاق عمن يحبه ... وفي قلبه نار الأسى تتضرم

* * *

أما والذي حج المحبون بيته ... ولبّوا له عند المهل ، وأحرموا
وقد كشفوا تلك الرؤوس تواضعاً ... لعزة من تعنو الوجوه وتسلم
يهلون بالبيداء : لبيك ربنا ... لك الملك والحمد الذي أنت تعلم
دعاهم فلبّوه رضىً ومحبة ... فلما دعوه كان أقرب منهمُ
تراهم على الانضاء شعثاً رؤوسهم ... وغبراً ، وهم فيها أسر وأنعم
وقد فارقوا الأوطان والأهل رغبة ... ولم يثنهم لذاتهم والتنعم
يسيرون من أقطارها وفجاجها ... رجالا وركباناً ، ولله أسلموا
ولما رأت أبصارهم بيته الذي ... قلوب الورى شوقاً اليه تضرم
كأنهمُ لم ينصبوا قط قبله ... لأن شقاهم قد ترحل عنهم
فلله كم من عَبرة مهراقة ... وأخرى على آثارها لا تقدم
وقد شرقت عين المحب بدمعها ... فينظر من بين الدموع ، ويسجم
اذا عاينته العين زال ظلامها ... وزال عن القلب الكئيب التألم
ولا يعرف الطرف المعاين حسنه ... الى أن يعود الطرف ، والشوق أعظم
ولا عجب من ذا فحين أضافه ... الى نفسه الرحمن ، فهو المعظم
كساه من الاجلال أعظم حلة ... عليها طراز بالملاحة معلم
فمن أجل ذا كل القلوب تحبه ... وتخضع اجلالا له ، وتعظم

وراحوا الى التعريف[1] يرجون رحمة ... ومغفرة ممن يجود ويكرم
فلله ذاك الموقف الأعظم الذي ... كموقف يوم العرض بل ذاك أعظم
ويدنو به الجبار جل جلاله ... يباهي بهم أملاكه ، فهو أكرم
يقول : عبادي قد أتوني محبة ... واني بهم بر أجود ، وأرحم
فأشهدكم أني غفرت ذنوبهم ... وأعطيتهم ما أملوه وأنعم
فبشراكم يا أهل ذا الموقف الذي ... به يغفر الله الذنوب ، ويرحم
فكم من عتيق فيه كمل عتقه ... وآخر يستسعي ، وربك أرحم
وما رؤي الشيطان اغيظ في الورى ... وأحقر منه عندها ، وهو الأم
وذاك لأمر قد رآه فغاظه ... فاقبل يحثو التراب غيظاً ، ويلطم
وما عاينت عيناه من رحمة أتت ... ومغفرة من عند ذي العرش تقسم
بنى ما بنى ، حتى اذا ظن أنه ... تمكن من بنيانه ، فهو محكم
أتى الله بنياناً له من أساسه ... فخر عليه ساقطاً يتهدم
وكم قدر ما يعلو البناء وينتهي ... اذا كان يبنيه ، وذو العرش يهدم !!
وراحوا الى جمع ، فباتوا بمشعر الحـ ... ـرام(٢) ، وصلوا الفجر ، ثم تقدموا
الى الجمرة الكبرى يريدون رميها ... لوقت صلاة العيد ، ثم تيمموا
منازلهم للنحر يبعون فضله ... واحياء نسك من أبيهم يعظم
فلو كان يرضي الله نحر نفوسهم ... لدانوا به طوعاً ، وللأمر سلموا
كما بذلوا عند الجهاد نحورهم ... لأعدائه حتى جرى منهم الدم
ولكنهم دانوا بوضع رؤوسهم ... وذلك ذل للعبيد وميسم
ولما تقضوا ذلك التفث الذي ... عليهم ، وأوفوا نذرهم ، ثم تمموا
دعاهم الى البيت العتيق زيارة ... فيا مرحباً بالزائرين ، وأكرم
فلله ما أبهى زيارتهم له !! ... وقد حصلت تلك الجوائز تقسم
ولله أفضال هناك ونعمة ، ... وبر واحسان ، وجود ومرحم
وعادوا الى تلك المنازل من منى ... ونالوا مناهم عندها ، وتنعموا
أقاموا بها يوماً ويوماً وثالثاً ... وأذن فيهم بالرحيل وأعلموا

---

(١) عرف القوم : اذا صعدوا عرفات .
(٢) هو مزدلفة .

وراحوا الى رمي الجمار عشية شعارهم التكبير والله مغنمُ
فلو أبصرت عيناك موقفهم بها وقد بسطوا تلك الأكف ليرحموا
ينادونه : يارب ، يارب ، اننا عبيدك ، لا ندعو سواك ، وتعلم
وها نحن نرجو منك ما أنت أهله فأنت الذي تعطي الجزيل وتنعم
ولما تقضوا من منى كل حاجة وسالت بهم تلك البطاح تقـدموا
الى الكعبة البيت الحرام عشية وطافوا بها سبعاً ، وصلوا ، وسلموا
ولما دنا التوديـع منهم وأيقنوا بأن التداني حبله متصرم
ولم يبق الا وقفة لمودع فلله أجفان هناك تسجم ! !
ولله أكباد هنالك أودع ال غرام بها !! فالنار فيها تضرم
ولله أنفاس يكاد بحرها يذوب المحب المستهام المتيم
فلم تر إلا باهتاً متحيراً وآخر يبدي شجوه يترنم
رحلت ، وأشواقي اليكم مقيمة ونار الأسى مني تشب وتضرم
أودعكم ، والشوق يثني أعنتي وقلبيَ أمسى في حماكم مخيم
هنالك لا تثريب يوماً على امرىءٍ اذا ما بدا منه الذي كان يكتم
فيا سائقين العيس ؛ بالله ربكم قفوا لي على تلك الربوع ، وسلموا
وقولوا محب قاده الشوق نحوكم قضى نحبه فيكم تعيشوا وتسلموا
قضى الله رب العرش فيما قضى به بأن الهوى يعمي القلوب ويبكم
وحبكم أصل الهدى ، ومداره عليه ، وفوز للمحب ، ومغنم
وتفنى عظام الصب بعد مماته وأشواقه وقف عليه محرم
فيا أيها القلب الذي ملك الهوى أزمّته ، حتى متى ذا التلوم ؟!
وحتام لا تصحو ؟! وقدقرب المدى ودنت كؤوس السير ، والناس نوم
بلى ؛ سوف تصحوحين ينكشف الغطا ويبدو لك الأمر الذي أنت تكتم
ويا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها وحـر لظاها بين جنبيـك يضرم
أهذا جنى العلم الذي قد غرسته ؟ ! وهذا الذي قد كنت ترجوه يطعم ؟!
وهذا هو الحظ الذي قد رضيته لنفسك في الدارين : جاه ودرهم ؟؟
وهذا هو الربح الذي قد كسبته ؟! لعمرك لا ربح ، ولا الأصل يسلم !!
بخلت بشيء لا يضرك بذله وجدت بشيء مثله لا يقوم

بخلت بذا الحظ الخسيس دناءة ... وجدت بدار الخلد لو كنت تفهم
وبعت نعيماً لا انقضاء له ولا ... نظير ببخس عن قليل سيعدم
فهلا عكست الأمر ان كنت حازماً ... ولكن أضعت الحزم لو كنت تعلم
وتهدم ما تبني بكفك جاهداً ... فأنت مدى الأيام تبني وتهدم
وعند مراد الله تفنى كميت ... وعند مراد النفس تسدي وتلحم
وعند خلاف الأمر تحتج بالقضا ... ظهيراً على الرحمن ، للجبر تزعم
تنزه منك النفس عن سوء فعلها ... وتعتب أقدار الالـه وتظلم
تحل أموراً أحكم الشرع عقدها ... وتقصد ما قد حله الشرع تبرم
وتفهم من قول الرسول خلاف ما ... أراد لأن القلب منك معجم
مطيع لداعي الغي عاص لرشده ... الى ربه يوماً يود ويعلم
مضيع لأمر الله قد غش نفسه ... مهين لها أني يحب ويكرم
بطيء عن الطاعات أَسرع للخنا ... من السيل في مجراه لا يتقسم
وتزعم مع هذا بأنك عارف ... كذبت يقيناً في الذي أنت تزعم
وما أنت الا جاهل ثم ظالم ... وانك بين الجاهلين مقدم
اذا كان هذا نصح عبد لنفسه ... فمن ذا الذي منه الهدى يتعلم ؟!
وفي مثل هذا الحال قد قال من مضى ... وأحسن فيما قاله المتكلم
«فان كنت لاتدري فتلك مصيبة ... وان كنت تدري فالمصيبة أعظم»
ولو تبصر الدنيا وراء ستورها ... رأيت خيالا في منام سيصرم
كحلم بطيف زار في النوم وانقضى ... المنام ، وراح الطيف ، والصب مغرم
وظل أرته الشمس عند طلوعها ... سيقلص في وقت الزوال ، ويفصم
ومزنة صيف طاب منها مقيلها ... فولت سريعاً ، والحرور تضرم
ومطعم ضيف لذ منه مساغه ... وبعد قليل حاله تلك تعلم
كذا هذه الدنيا كأحلام نائم ... ومن بعدها دار البقاء ستقدم
فجزها ممراً لا مقراً وكن بها ... غريباً تعش فيها حميداً ، وتسلم
أو ابن سبيل قال (١) في ظل دوحة ... وراح ، وخلى ظلها يتقسم
أخا سفر لا يستقر قراره ... الى أن يرى أوطانه ويسلم

---

(١) هو من قال يقيل : اذا نام في النهار .

فيا عجباً !! كم مصرع وعظت به   بنيها !! ولكن عن مصارعها عموا
سقتهم كؤوس الحب حتى اذا نشَوا   سقتهم كؤوس السم ، والقوم نوم
وأعجب ما في العبد رؤية هذه الـ   عظائم ، والمغمور فيها متيم
وما ذاك الا أن خمرة حبها   لتسلب عقل المرء منه وتصلم
وأعجب من ذا أن أَحبابها الألى   تهين ، وللاعدا تراعي وتكرم
وذلك برهان على أن قدرها   جناح بعوض أو أدق وألأم
وحسبك ما قال الرسول ممثلا   لها ، ولدار الخلد والحق يفهم
كما يدلي الانسان في اليم أصبعاً   وينزعها منه فما ذاك يغنم
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة   على حذر منها ، وأمري مبرم
وهل أردن ماء الحياة وأرتوي   على ظمأ من حوضه ، وهو مفعم
وهل تبدون أعلامها بعد ما سفت   على ربعها تلك السوافي فتعلم
وهل أفرشن خدي ثرى عتباتهم   خضوعاً لهم كيما يرقوا ويرحموا
وهل أَرمين نفسي طريحاً ببابهم   وطير منايا الحب فوقي تحوم
فيا أسفي ، تفنى الحياة وتنقضي   وذا العتب باق ما بقيتم وعشتم
فما منكم بد ولا عنكم غنى   ومالي من صبر فأسلو عنكم
ومن شاء فليغضب سواكم فلا إذاً   اذا كنتم عن عبدكم قد رضيتم
وعقبى اصطباري في هواكم حميدة   ولكنها عنكم عقاب ومأثم
وما أنا بالشاكي لما ترتضونه   ولكنني أرضى به وأسلم
وحسبي انتسابي من بعيد اليكم   ألا انه حظ عظيم مفخم
اذا قيل : هذا عبدهم ومحبهم   تهلل بشراً وجهه يتبسم
وها هو قد أبدى الضراعة سائلا   لكم بلسان الحال ، والقال معلم
أحبته ؛ عطفاً عليه فانه   لمظمئ ، وان المورد العذب أنتم

* * *

فيا ساهياً ؛ في غمرة الجهل والهوى   صريع الأماني عن قريب ستندم
أفق قد دنا الوقت الذي ليس بعده   سوى جنة ، أو حر نار تضرم
وبالسنة الغراء كن متمسكاً   هي العروة الوثقى التي ليس تفصم
تمسك بها مسك البخيل بماله   وعض عليها بالنواجذ تسلم

ودع عنك ما قد أحدث الناس بعدها فمرتع هاتيك الحوادث أوخم
وهيء جواباً عندما تسمع الندا من الله يوم العرض ماذا أجبتم
به رسلي لما أتوكم فمن يكن أجاب سواهم سوف يخزى ويندم
وخذ من تقى الرحمن أعظم جُنّة ليوم به تبدو عياناً جهنم
وينصب ذاك الجسر من فوق متنها فهاوٍ ، ومخدوش ، وناجٍ مسلم
ويأتي الـــه العالمين لوعده فيفصل ما بين العباد ويحكم
ويأخذ للمظلوم ربك حقه فيا بؤس عبد للخلائق يظلم !!
وينشر ديوان الحساب وتوضع الموازين بالقسط الذي ليس يظلم
فلا مجرم يخشى ظلامة ذرة ولا محسن من أجره ذاك يهضم
وتشهد أعضاء المسيء بما جنى كذاك على فيه المهيمن يختم
فياليت شعري !! كيف حالك عندما تطاير كتب العالمين وتقسم ؟!
أتأخذ باليمنى كتابك أم تكن بالاخرى وراء الظهر منك تسلم
وتقرأ فيـه كل شيء عملته فيشرق منك الوجه ، أو هو يظلم
تقول : كتابي فاقرؤوه فانه يبشر بالفوز العظيم ، ويعلم
فان تكن الأخرى فانك قائل : ألا ليتني لم أوته فهو مغرم
فبادر اذاً ما دام في العمر فسحة وعدلك مقبول ، وصرفك قيم
وجد ، وسارع ، واغتنم زمن الصبا ففي زمن الامكان تسعى ، وتغنم
وسر مسرعاً ، فالسيل خلفك مسرع وهيهات ما منه مفر ومهزم ! !
فهن المنايا أي واد نزلته عليها القدوم أو عليك ستقدم(١)
وما ذاك الا غيرة أن ينالها سوى كفئها والرب بالخلق أعلم
وان حجبت عنا بكل كريهة وحفت بما يؤذي النفوس ويؤلم
فلله ماقي حشوها من مسرة وأصناف لذات بها نتنعم ! !
ولله برد العيش بين خيـــامها وروضاتها !! والثغر في الروض يبسم
فلله واديها الذي هو موعد المـزيد لوفد الحب لو كنت منهم
بذيالك الوادي يهيم صـبابة محب يرى أن الصبابة مغنم !

(١) جاء في « حادي الارواح » هذه الابيات زيادة على الاصل ، فهاك أولها .

ولله أفراح المحبين عندما — يخاطبهم من فوقهم ويسلم
ولله أبصار ترى الله جهرة — فلا الضيم يغشاها ولا هي تسأم
فيا نظرة أهدت الى الوجه نضرة — أمن بعدها يسلو المحب المتيم ؟
ولله كم من خيرة لو تبسمت — أضاء لها نور من الفجر أعظم
فيا لذة الأبصار ان هي أقبلت — ويالذة الأسماع حين تكلم
ويا خجلة الغصن الرطيب اذا انثنت — ويا خجلة البحرين حين تبسم ؟؟
فان كنت ذا قلب عليل بحبها — فلم يبق الا وصلها لك مرهم
ولا سيما في لثمها عند ضمها — وقد صار منها تحت جيدك معصم
يراها اذا أبدت له حسن وجهها — يلذ بها قبل الوصال وينعم
تفكه منها العين عند اجتلائها — فواكه شتى طلعها ليس يعدم
عناقد من كرم وتفاح جنة — ورمان أغصان بها القلب مغرم
وللورد ما قد ألبسته خدودها — وللخمر ما قد ضمه الريق والفم
تقسم منها الحسن في جمع واحد — فيا عجبا من واحد يتقسم
تذكر بالرحمن من هو ناظر — بجملتها ان السلو محرم
لها فرق شتى من الحسن أجمعت — فينطق بالتسبيح لا يتلعثم
اذا قابلت جيش الهموم بوجهها — تولى على أعقابه الجيش يهزم
فياخاطب الحسناء ان كنت راغبا — فهذا زمان المهر فهو المقدم
ولما جرى ماء الشباب بغصنها — تيقن حقا انه ليس يهزم
وكن مبغضاً للخائنات لحبها — فتحظى بها من دونهن وتنعم
وكن أيما مما سواها فانها — لمثلك في جنات عدن تأيم
وصم يومك الأدنى لعلك في غد — تفوز بعيد الفطر والناس صوم
وأقدم ولا تقنع بعيش منغص — فما فاز باللذات من ليس يقدم
وان ضاقت الدنيا عليك بأمرها — ولم يك فيها منزل لك يعلم (١)
فحيَّ على جنات عدن فانها — منازلك الاولى ، وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى — سعيداً ، والا فالشقاء محتم
وقد زعموا أن الغريب اذا نأى ، — وشطت به أوطانه فهو مؤلم (٢)

(١) انتهى المنقول من « حادي الارواح» . (٢) في «اعلام الموقعين» : فهو معدم.

وأي اغتراب فوق غربتنا التي　　لها أضحت الأعداء فينا تحكم

وحي على روضاتها وخيامها　　وحي على عيش بها ليس يسأم (١)

وحي على السوق الذي يلتقي فيه المحبون ، ذاك السوق للقوم يعلم

فما شئت خذ منه بلا ثمن له　　فقد أسلف التجار فيه وأسلموا

وحي على يوم المزيد فانه　　لموعد أهل الحب حين يكرموا (٢)

وحي على واد هنالك أفيح　　منابر من نور لمن هو مكرم

وحي على واد هنالك أفيح　　وتربته من اذفر المسك أعظم (٣)

منابر من نور هناك وفضة　　ومن خالص العقيان لا تتفصم (٣)

ومن حولها كثبان مسك مقاعد　　لمن دونهم هذا العطاء المفخم (٤)

يرون به الرحمن جل جلاله　　كرؤية بدر التم لا يتوهم

كذا الشمس صحواً ليس من دون أفقها　　سحاب ، ولا غيم هناك يغيم (٥)

فبيناهم في عيشهم وسرورهم　　وأرزاقهم تجري عليهم وتقسم

اذا هم بنور ساطع قد بدا لهم　　وقد رفعوا أبصارهم فاذا هم (٦)

بربهم من فوقهم قائل لهم :　　سلام عليكم ، طبتم ، ونعمتم

سلام عليكم ، يسمعون جميعهم　　بآذانهم تسليمه اذ يسلم (٧)

يقول : سلوني ما اشتهيتم فكل ما　　تريدون عندي ، انني أنا أرحم

---

(١) ورد في « حادي الارواح » البيتان التاليان زيادة على ما هنا ، فأثبتناهما لموافقتهما السباق والسياق .

(٢) ورد في « حادي الارواح »

وحي على يوم المزيد الذي به　　زيارة رب العرش ، فاليوم موسم

(٣) البيتان من « حادي الارواح »　　(٤) ورد في « حادي الارواح » زيادة :

وكثبان مسك قد جعلن مقاعداً　　لمن دون أصحاب المنابر يعلم

(٥) البيتان وردا في الاصل بعد البيت « ومن حولها ... » ولكن المعنى اقتضى تأخيرهما .

(٦) ورد البيت في « حادي الارواح » :

اذا هم بنور ساطع أشرقت له　　باقطارها الجنات لا يتوهم

(٧) الابيات الاربعة التالية زيادة من « حادي الارواح » .

فقالوا جميعاً : نحن نسألك الرضى فأنت الذي تولي الجميل وترحم
فيعطيهم هذا ، ويشهد جمعهم عليه ، تعالى الله ، فالله أكرم
فبالله ما عذر امرىء هو مؤمن بهذا ، ولا يسعى له ويقدم ؟!
ولكنما التوفيق بالله انه يخص به من شاء فضلا وينعم
فيا بائعاً غال ببخس معجل كأنك لا تدري ، بلى سوف تعلم(١)
فقدم ، فدتك النفس ، نفسك انها هي الثمن المبذول حين تسلم
وخض غمرات الموت وارق معارج المحبة في مرضاتهم تتسنم
وسلم لهم ما عاقدوك عليه ان ترد منهم أن يبذلوا ويسلموا
فما ظفرت بالوصل نفس مهينة ولا فاز عبد بالبطالة ينعم

* * *

وان تك قد عاقتك سعدى المعنى فقلبك رهين في يديها مسلّم
وقد ساعدت بالوصل غيرك فالهوى لها منك ، والواشي بها يتنعم
فدعها ، وسلّ النفس عنها بجنة من العلم ، وفي روضاتها الحق يبسم
وقد ذللت منها القطوف فمن يرد جناها ينله ، كيف شاء ويطعم
وقد فتحت أبوابها ، وتزينت لخطابها ، فالحسن فيها مقسم
وقد طاب منها نزلها ونزيلها فطوبى لمن حلوا بها وتنعموا
أقام على أبوابها داعي الهدى هلموا الى دار السعادة تغنموا
وقد غرس الرحمن فيها غراسة من الناس ، والرحمن بالخلق أعلم
ومن يغرس الرحمن فيها فانها سعيد ، والا فالشقاء محتم

(١) البيت زيادة من « حادي الارواح » .

للشيخ الفاضل أحمد بن مشرّف

ومما قاله الشيخ الفاضل أحمد بن مشرف رحمه الله تعالى قال : لما كان في سنة ست وثلاثين بعد المائتين والألف كثر في بلدنا الخصوم والجدل من أهل التجهم والاعتزال ، وفشت عقائد الضلال ، وأرادوا أن يصدوا الواردين عن ورد منهل الوحي العذب الزلال ، نظمت هذه القصيدة اللامية وسميتها :

« الشهب المرمية على المعطلة والجهمية »

وهي هذه :

نفيتم صفات الله فالله أكمل ... فسبحانه عما يقول المعطل

زعمتم بأن الله ليس بمستو ... على عرشه ، والاستوا ليس يجهل

فقد جاء في الأخبار في غير موضع ... بلفظ استوى لا غير ، يا متأول

وقد جاء في اثباته عن نبينا ... من الخبر المأثور ما ليس يشكل

فصرح أن الله جل جلاله ... على عرشه منه الملائك تنزل

يخافونه من فوقهم ، وعروجهم ... اليه ، وهذا في الكتاب مفصل

وتعرج حقاً روح من مات مؤمناً ... اليه فتحظى بالمنى ، ثم ترسل

وبالمصطفى اسري الى الله فارتقى ... على هذه السبع السموات في العلو

ومنه دنا الجبار حقاً فكان قا ... ب قوسين أو أدنى كما هو منزل(١)

وفي ذا حديث في صحيح محمد(٢) ... صحيح صريح ظاهر لا يؤول

وقد رفع الله المسيح بن مريم ... اليه ، ولكن بعد ذا سوف ينزل

فيكسر صلبان النصارى بكفه ... وما دام حياً للخنازير يقتل

وليس له شرع سوى شرع أحمد ... فيقضي به بين الانام ، ويعدل

وزينب زوج المصطفى افتخرت على ... بقية أزواج النبي بلا غلو

فقالت : تولى الله عقدي بنفسه ... فزوجني من فوق سبع من العلو

---

(١) الذي دنا هو جبريل عليه السلام ، وليس الله عز وجل . وهو ما عليه المحققون من العلماء.

(٢) هو محمد بن اسماعيل البخاري صاحب « الصحيح » والحديث مضطرب.

وان سفيري روحه وكفى بذا ... لزينب فخراً شامخاً ، فهو أطول
ولما قضى سعد الرضى في قريظة : ... بأن يسترقوا والرجال تقتل
وأمضى رسول الله في القوم حكمه ... لقد قال ما معناه اذ يتأمل :
ألا ان سعداً قد قضى فيهم بما ... قضى الله من فوق السموات فافعلوا
وقد صح أن الله في كل ليلة ... اذا ما بقي ثلث من الليل ينزل
الى ذي السما الدنيا ينادي عباده ... الى أن يكون الفجر في الافق مشعل
يناديهم : هل تائب من ذنوبه ؟ ... فاني لغفار لها متقبل
وهل منكم داع ، وهل سائل لنا ... فاني اجيب السائلين ، وأجزل
وقد فطر الله العظيم عباده ... على أنه من فوقه فلـه سلوا
لهذا تراهم يرفعون أكفهم ... اذا اجتهدوا عند الدعاء الى العلو
أقروا بهذا الاعتقاد جبلة ... ودانوا به مالم يصدوا ويخذلوا
على ذا مضى الهادي النبي وصحبه ... وأتباعهم خير القرون وأفضل
فأخلف قوم آخرون فحرفوا ... نصوص كتاب الله جهلا وأولوا
فجاؤوا بقول سيء سـره وما ... بدا منه يزهو باللآلي مكلل
هم عطلوا وصف الاله وأظهروا ... بذلك تنزيهاً له ، وهو أكمل
ومن نزه الباري ينفي صفاته ... فما هو الا جاحـد ومعطل
فيا أيها النافي لأوصاف ربه ... لقد فاتك النهج الذي هو أمثل
تحيد عن الذكر الحكيم ونصه ... وتزورّ عن قول الرسول ، وتعدل
وتنفي صفات الله بعد ثبوتها ... بنص من الوحيين ما فيه مجمل
اذا جاء نص محكم في صفاته ... جحدت له أو قلت : هذا مؤول
ألا تقتفي آثار صحب محمد ... فمنهاجهم أهدى ، وأنجى ، وأفضل
فما مذهب الأخلاف أعلم بالهدى ... من القوم لو أنصفت ، أو كنت تعدل
ولكنه من بعض ما أحدث الورى ... ومن يبتدع في الدين فهو مضلل

* * *

فصل في اعتقاد السلف الصالح

ولكننا والحمد لله لم نزل ... على قول أصحاب الرسول نعول
نقر بأن الله فوق عباده ... على عرشه ، لكنما الكيف يجهل
وكل مكان فهو فيه بعلمه ... شهيد على كل الورى ليس يغفل
وما أثبت الباري تعالى لنفسه ... من الوصف أو أبداه من هو مرسل
فنثبته لله جل جلاله ... كما جاء ، لا ننفي ولا نتأول
هو الواحد ، الحي ، القديم له البقا ... مليك ، يولي من يشاء ، ويعزل
سميع ، بصير ، قادر ، متكلم ، ... عليم ، مريد ، آخر ، هو أَول
تنزه عن ند ، وولد ، ووالد ، ... وصاحبة ، فالله أعلى وأكمل
وليس كمثل الله شيء وماله ... شبيه ، ولا ند ، بربك يعدل
وان كتاب الله من كلماته ... ومن وصفه الأعلى حكيم منزل
فليس بمخلوق ولا وصف حادث ... فيفنى ، ولكن محكم لا يبدل
هو الذكر متلو بألسنة الورى ... وفي الصدر محفوظ، وفي الصحف مسجل
فألفاظه ليست بمخلوقة ولا ... معانيه ، فاترك قول من هو مبطل
وقد أسمع الرحمن موسى كلامه ... على طور سينا ، والاله يفضل
وللطور مولانا تجلى بنوره ... فصار لخوف الله دكاً يزلزل
وان علينا حافظين ملائكاً ... كراماً بسكان البسيطة وكلوا
فيحصون أقوال ابن آدم كلها ... وأفعاله طراً ، فلا شيء يهمل
ولا حي غير الله يبقى وكل من ... سواه له حوض المنية منهل
وان نفوس العالمين بقبضها ... رسول من الله العظيم موكل
ولا نفس تفنى قبل إكمال رزقها ... ولكن اذا تم الكتاب المؤجل
وسيان منهم من ودى حتف أنفه ... ومن بالظبا والسمهرية يقتل (١)
وان سؤال القانتين محقق ... لكل صريع في الثرى حين يجعل
يقولان : ماذا كنت تعبد ؟ ما الذي ... تدين ؟ ومن هذا الذي هو مرسل ؟
فيارب ثبتنا على الحق واهدنا ... اليه ، وأنطقنا به حين نسأل

---

(١) الظبا والظباة : السيوف ، قال الشاعر :

تسيل على حد الظباة نفوسنا ... وليست على غير الظباة تسيل

وان عذاب القبر حق ، وروح من ... ودى في نعيم أو عذاب ستجعل
فأرواح أصحاب السعادة نعمت ... بروح وريحان ، وما هو أَفضل
وتسرح في الجنات تجني ثمارها ... وتشرب من تلك المياه ، وتأكل
ولكن شهيد الحرب حي منعم ... فتنعيمه للروح والجسم يحصل
وأرواح أَصحاب الشقاء مهانة ... معذبة للحشر ، والله يعدل
وان معاد الروح والجسم واقع ... فينهض من قد مات حياً يهرول
وصيح بكل العالمين فأحضروا ... وقيل : قفوهم للحساب ليسألوا
فذلك يوم لا تحد كروبه ... بوصف ، فان الأمر أدهى وأهول
يحاسب فيه المرء عن كل سعيه ... وكل يجازى بالذي كان يعمل
وتوزن أَعمال العباد جميعها ... وقد فاز من ميزان تقواه يثقل
وفي الحسنات الأجر يلقى مضاعفاً ... وبالمثل تجزى السيئات وتعدل
ولا يدرك الغفران من مات مشركاً ... وأعماله مردودة ليس تقبل
ويغفر غير الشرك ربي لمن يشا ... وحسن الرجا والظن بالله أجمل
وان جنان الخلد تبقى ومن بها ... مقيماً على طول المدى ليس يرحل
أعدت لمن يخشى الاله ويتقي ... ومات على التوحيد فهو مهلل
وينظر من فيها الى وجه ربه ... بذا نطق الوحي المبين المنزل
وان عذاب النار حق وانها ... أعدت لأهل الكفر مثوى ومنزل
يقيمون فيها خالدين على المدى ... اذا نضجت تلك الجلود تبدل
ولم يبق بالاجماع فيها موحد ... ولو كان ذا ظلم يصول ويقتل
وان لخير الأنبياء شفاعة ... لدى الله في فصل القضاء فيفصل
ويشفع للعاصين من أهل دينه ... فيخرجهم من نارهم ، وهي تشعل
فيلقون في نهر الحياة فينبتوا ... كما في حميل السيل ينبت سنبل
وان له حوضاً هنيئاً شرابه ... من الشهد أحلى ، فهو أبيض سلسل
يقدر شهراً في المسافة عرضه ... كأيلة من صنعا وفي الطول أطول(١)
وكيزانه مثل النجوم كثيرة ... ورواده حقاً أغر محجل

---

(١) ايليا : بيت المقدس في الشام ، وصنعاء : مدينة في اليمن .

من الامة المستمسكين بدينه وعنه ينحى محدث ومبدل
فيارب ، هب لي شربة من زلاله بفضلك ، يا من لم يزل يتفضل

فصل في الايمان بالقضاء والقدر ، وما يتعلق بذلك

وبالقدر الايمان حتم وبالقضا فما عنهما للمرء في الدين معدل
قضى ربنا الاشياء من قبل كونها وكل لديه في الكتاب مسجل
فما كان من خير وشر فكله من الله ، والرحمن ماشاء يفعل
فبالفضل يهدي من يشاء من الورى وبالعدل يردي من يشاء ويخذل
وما العبد مجبوراً وليس مخيراً ولكن له كسب ، وما الأمر مشكل
وان ختام المرسلين محمد الى الثقلين : الجن والانس مرسل
بأفضل دين للشرائع ناسخ ولا يعتريه النسخ ما دام يذبل
فما بعده وحي من الله نازل على بشر ، والمدعي متقول
ونعتقد : الايمان قول ، ونية ، وفعل ، اذا ما وافق الشرع يقبل
وينقص أحياناً بنقصان طاعة ويزداد ان زادت فينمو ويكمل

* * *

ودونك من نظم القريض قصيدة وجيزة ألفاظ جناها مذلل
بديعة حسن يشبه الدر نظمها ولكنه أحلى ، وأغلى وأجمل
عقيدة أهل الحق والسلف الألى عليهم لمن رام النجاة ، المعول
فدونكها تحوي فوائد جمة من العلم قد لا يحتويها المطول
فيا رب عفواً منك عما اجترحته من الذنب ؛ عن علم ، وما كنت أجهل
فاني على نفسي مسيء ومسرف وظهري بأوزار الخطيئات مثقل
فهب لي ذنوبي ، واعف عنها تفضلا عليّ فمن شأن الكريم التفضل
وأحسن ما يزهو به الختم حمد من بأسمائه الحسنى له نتوسل
وأزكى صلاة والسلام على الذي به تم عقد الأنبياء ، وكملوا
محمد المختار ماهل عارض على بلد قفر ، وما اخضر ممحل
كذا الآل والأصحاب ماقال قائل : نفيتم صفات الله ، فالله أكمل

وله أيضاً – رحمه الله تعالى – يرثي العلم وأهله

على العلم نبكي اذ قد اندرس العلم … ولم يبق فينا منه روح ولا جسم
ولكن بقي رسم من العلم دارس … وعما قليل سوف ينطمس الرسم
فآن لعين أن تسيل دموعها … وآن لقلب أن يصدعه الهم
فان بفقد العلم شراً وفتنة … وتضييع دين أمره واجب حتم
وما سائر الأعمال الا ضلالة … اذا لم يكن للعالمين بها علم
وما الناس دون العلم الا بظلمة … من الجهل ، لا مصباح فيها ولا نجم
فعار على المرء الذي تم عقله … وقد أمّلت فيه المروّة والحزم
اذا قيل : ماذا أوجب الله يافتى ؟ … أجاب بلا أدري ، وأنى لي العلم ؟!
وأقبح من ذا لو أجاب سؤاله … بجهل ، فان الجهل مورده وخم
فكيف اذا ما البحث من بين أهله … جرى ، وهو بين القوم ليس له سهم
تدور بهم عيناه ليس بناطق … فغير حري أن يرى فاضلا فدم
وما العلم الا كالحياة اذا سرت … بجسم حي ، والميت من فاته العلم
وكم في كتاب الله من مدحة له … يكاد بها ذو العلم فوق السها يسمو
وكم خبر في فضله صح مسنداً … عن المصطفى فاسأل به من له علم
كفى شرفاً للعلم دعوى الورى له … جميعا ، وينفي الجهل من قبحه الفدم
فلست بمحص فضله ان ذكرته … فقد كل عن احصائه النثر والنظم
فيا رافع الدنيا على العلم غفلة … حكمت فلم تنصف ، ولم يصب الحكم
أترفع دنيا لا تساوي بأسرها … جناح بعوض عند ذي العرش يافدم
وترغب عن ارث النبيين كلهم … وترغب في ميراث من شأنه الظلم
وتزعم جهلا أن بيعك رابح … فهيهات لم تربح ، ولم يصدق الزعم
ألم تعتبر بالسابقين ، فحالهم … دليل على أن الأجلّ هو العلم
فكم قد مضى من مترف متكبر … ومن ملك دانت له العرب والعجم
فبادوا فلم تسمع لهم قط ذاكراً … وان ذكروا يوماً فذكرهم الذم
وكم عالم ذي فاقة ورثاثة … ولكنه قد زانه الزهد والعلم

حيا ماحيا في طيب عيش ومذ قضى ... بقي ذكره في الناس اذ فقد الجسم
فكن طالباً للعلم حتى طلابه ... مدى العمر لا يوهنك عن ذلك السأم
وهاجر له في أي أرض ولو نأت ... عليك ، فاعمال المطي له حتم
وأنفق جميع العمر فيه فمن يمت ... له طالباً نال الشهادة لا هضم
فان نلته فليهنك العلم ، انه ... هو الغاية العلياء ، واللذة الجم
فلله كم تفتض من بكر حكمة ... وكم درة تحظو بها وصفها اليتم
وكم كاعب حسناء تكشف خدرها ... فيسفر عن وجه به يبرأ السقم
فتلك التي تهوى ظفرت بوصلها ... لقد طالما في حبها نحت الجسم
فعانق ، وقبل ، وارتشف من رضابها ... فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم (١)
فجالس رواة العلم ، واسمع كلامهم ... فكم كلم منهم به يبرأ الكلم
وان أمروا فاسمع لهم وأطع ، فهم ... أولو الأمر ، لا من شأنه الفتك والظلم
مجالسهم مثل الرياض أنيقة ... لقد طاب منها اللون ، والريح ، والطعم
أتعتاض عن تلك الرياض وطيبها ... مجالس دنيا حشوها ، الزور والاثم
فما هي الا كالمزابل موضعاً ... لكل أذى لايستطاع له شم
فدر حول قال الله قال رسوله ... وأصحابه أيضاً فهذا هو العلم
وما العلم آراء الرجال وظنهم ... ألم تر أن الظن من بعضه الاثم ؟!
وكن تابعا خير القرون تمسكاً ... بآثارهم في الدين ، هذا هو الحزم
وأفضلهم صحب النبي محمد ... فلولاهم لم يحفظ الدين والعلم
ولولاهم كان الورى في ضلالة ... ولكنّ كلاًّ منهم للهدى نجم
فآمن كايمان الصحابة وارضه ... فمنهاجهم فيه السلامة والغنم
واياك أن تزورّ عنه الى الهوى ... ومحدث أمر ماله في الهدى سهم
فايماننا : قول ، وفعل ، ونية ... فيزداد بالتقوى ، وينقصه الاثم
فنؤمن أن الله لا رب غيره ... له الملك في الدارين والأمر ، والحكم
فليس له ولد ، ولا والد ، ولا ... شريك ، ولا يعروه نقص ، ولا وصم
اله قديم أول ، لابداية ... له ، وهو الباقي ، فليس له حسم

(١) ظلم الحبيب . الظلم بالفتح : ماء الاسنان وريقها .

سميع ، بصير ، قادر ، متكلم ، مريد ، وحي ، لا يموت له العلم
وايماننا بالاستواء استواؤه تعالى على عرش السما واجب حتم
فأثبته للرحمن غير مكيف له ، وتعالى أن يحيط به العلم
ومن حرّف النص الصريح مؤولاً فقد زاغ ، بل قد فاته الحق ، والحزم
وما الحزم الا أن تمرّ صفاته كما ثبتت ، لا يعتريك بها وهم
قراءتها تفسيرها عند من نجا فذر عنك ما قد قاله الجعد ، والجهم
وان جنان ، الخلد تبقى ومن بها وليس لما فيها انقطاع ، ولاحسم
ورؤية سكان الجنان لربهم تبارك حق ، ليس فيها لهم وهم
كرؤيتهم للبدر ليل تمامه أو الشمس صحواً لا سحاب ولاقتم
فياوب ، فاجعلني لوجهك ناظراً غـــداً ، فاخراً فيما به ينعم الجسم
وان ورود الحوض حوض محمد لأمته حـق ، به يجب الجزم
فما اللبن الزاكي يضاهي بياضه وما العسل الصافي مع اللبن الطعم
ولكنه أنقى بياضاً وطعمه من الكل أحلى والعبير له ختم
وكيزانه مثل النجوم لنورها وكثرتها جداً فهل يحسب النجم
عليه نبي الله يدرأ كل من أتى من سوى أتباعه ، ولهم وسم
فأمته نأتيه كل محجل أغر ، وأما من سواهم فهم دهم
وعنه رجال مسلمون تذودهم ملائك ، لما بدلوا ، فبدا الجرم
فيا رب ، هب لي شربة من زلالة ومن يغتوف من ذلك الحوض لايظم
وان عذاب النار حق أعاذنا اله الورى منها ، فتعذيبها غرم
أعدت لأهل الكفر دار اقامة اذا نضجت أجسادهم بدّل الجسم
ولم يبق فيها من توفي موحداً باجرامه ، حتى ولو عظم الجرم
وان لخير المرسلين شفاعة بها المصطفى من بين أقرانه يسمو
فيشفع فيهم ، وهو خير مشفّع ، فينزل من رب الورى لهم الحكم
فما ظالم الا ويجزى بظلمه وما محسن الا يوفّى ولا هضم
فشفعه ألّلهم فينا بموتنا على ملة الاسلام ، يامن له الحكم
وصلى اله العالمين مسلماً على من به للأنبياء جرى الختم
كذا الآل والأصحاب ، ماقال قائل: على العلم نبكي اذ قد اندرس العلم

القصيدة البائية في الحث على مكارم الاخلاق

للإمام محمد بن اسماعيل الصنعاني

ترجمة الامام الصنعاني

هو أبو ابراهيم محمد بن اسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الكحلاني ثم الصنعاني ، المعروف كأسلافه بالامير .

كان محدثاً ، مجتهداً ، سلفي المذهب . وكان جريئاً في الحق لا يخاف سخط الناس في مرضاة الله عز وجل . فحارب البدع ، ونفر من التقليد ، وقد أصابه لذلك من الجهلاء والعوام أذى كثير .

وله نحو مئة مؤلف منها : سبل السلام ، شرح بلوغ المرام لابن حجر العسقلاني . وتوضيح الافكار ، شرح تنقيح الانظار في مصطلح الحديث . وشرح الجامع الصغير . وتطهير الاعتقاد عن درن الالحاد . وغيرها . .

ولد بمدينة كحلان ، ونشأ وتوفي في صنعاء سنة ١١٨٢ هـ رحمه الله .

أما آن عما أنت فيه متاب ؟! ... وهل لك من بعد البعاد اياب ؟!

تقضت بك الأعمار في غير طاعة ... سوى عمل ترضاه ، وهو سراب

اذا لم يكن لله فعلك خالصاً ... فكل بناء قد بنيت خراب

فللعمل الاخلاص شرط اذا أتي ... وقد وافقته سنة وكتاب

وقد صين عن كل ابتداع ، وكيف ذا ... وقد طبق الآفاق منه عباب

طغى الماء من مجرى ابتداع على الورى ... ولم ينج منه مركب وركاب

وطوفان نوح كان في الفلك أهله ... فنجاهم والغارقون تباب

وأنى لنا فلك ينجي ؟! وليته ... يطير بنا عما نراه غراب

وأين ؟ الى أين المطار ؟! وكل ما ... على ظهرها يأتيك منه عجاب

نسائل من دار الأراضي سياحة ... عسى بلدة فيها هدى وصواب

فيخبر كل عن قبائح ما يرى ... وليس لأهليها يكون متاب

لانهم عدوا قبائح فعلهم ... محاسن ، يرجى عندهن ثواب

كقوم عراة في ذرى مصر ماترى ... على عورة منهم هناك ثياب

يدورون فيها كاشفين لعورة ... تواتر هذا لا يقال كذاب

يعدونهم في مصرهم فضلاءهم ... دعاؤهم فيما يرون مجاب

وفيها وفيها كل ما لا يعده لسان ولا يدنو اليه خطاب
وفي كل مصر مثل مصر وانما لكل مسمى ، والجميع ذئاب
ترى الدين مثل الشاة قد وثبت لها ذئاب ، وما عنها لهن ذهاب
لقد مزقته بعد كل ممزّق فلم يبق منه جثة واهاب
وليس اغتراب الدين إلا كما ترى فهل بعد هذا الاغتراب اياب ؟!
فيا غربة هل ترتجي منك أوبة فيجبر من هذا البعاد مصاب
فلم يبق للراجي سلامة دينه سوى عزلة فيها الجليس كتاب
كتاب حوي كل العلوم وكل ما حواه من العلم الشريف صواب
فان رمت تاريخاً رأيت عجائباً ترى آدماً اذ كان وهو تراب
ولاقيت هابيلا قتيل شقيقه يواريه لما أن رآه غراب
وتنظر نوحاً ، وهو في الفلك اذ طغى على الأرض ماء للسحاب عباب
وان شئت كل الأنبياء وقومهم وما قال كل منهم ، وأجابوا
ترى كل من تهوى من القوم مؤمناً وأكثرهم قد كذبوه وخابوا
وجنات عدن حورها ونعيمها ونار بها للمسرفين عذاب
فتلك لأصحاب التقى ، ثم هذه لكل شقي قد حواه عقاب
وان ترد الوعظ الذي ان عقلته فان دموع العين عنه جواب
تجده وما تهواه من كل مشرب فللروح منه مطعم وشراب
وان رمت ابراز الأدلة في الذي تريد فما تدعو اليه تجاب
تدل على التوحيد فيه قواطع بها قطعت للملحدين رقاب
وفيه الدوا من كل داء فثق به فوالله ما عنه ينوب كتاب
وما مطلب الا وفيه دليله وليس عليه للذكي حجاب
وفي رقية الصحب اللديغ قضية وقررها المختار حين أصابوا
ولكن سكان البسيطة أصبحوا كأنهم عما حواه غضاب
فلا يطلبون الحق منه وانما يقولون : من يتلوه فهو مثاب
فان جاءهم فيه الدليل موافقاً لما كان للآبا اليه ذهاب
رضوه ، والا قيل هذا مؤول ويركب للتأويل فيه صعاب
تراه أسيراً ، كل حبر يقوده الى مذهب قد قررته صحاب

أتعرض ياذا عن رياض أريضة ... وتعتاض جهلا بالرياض هضاب
يريك صراطاً مستقيماً وغيره ... مفاوز جهل كلها وشعاب
يزيد على مر الجديدين جدة ... فألفاظه مهما تلوت عذاب
وآياته في كل حين طرية ... وتبلغ أقصى العمر وهي كعاب
ففيه هدى للعالمين ورحمة ... وفيه علوم جمة وثواب
فكل كلام غيره القشر لا سوى ... وذا كله عند اللبيب لباب
دعوا كل قول غيره ، وسوى الذي ... أتى عن رسول الله ، فهو صواب
وعضوا عليه بالنواجذ واصبروا ... عليه ، ولو لم يبق في الفم ناب
تروا كل ماترجون من كل مطلب ... اذا كان فيكم همة وطلاب
أطيلوا على السبع الطوال وقوفكم ... تدر عليكم بالعلوم سحاب
وكم من ألوف بالمئين فكن بها ... ألوفاً تجد ما ضاق عنه حساب
وفي طي أثناء المثاني نفائس ... يطيب بها نشر ويفتح باب
وكم من فصول في المفصل قدحوت ... أصولا اليها للذكي اياب
وما كان في عصر الرسول وصحبه ... سواه لهدي العالمين كتاب
تلا « فصلت » لما أتاه مجادل (١) ... فأبلس حتى لا يكون جواب
أقر بأن القول فيه طلاوة ... ويعلو ، ولا يعلو عليه خطاب
وأدبر عنه هائماً في ضلالة ... يريد مراداً في الأنام يعاب
وقال وصي المصطفى : ليس عندنا ... سواه ، والا ما حواه تراب
والا الذي أعطاه فهماً الهه ... بآياته ، فاسأل عساك تجاب
فما الفهم الا من عطاياه لا سوى ... بل الخير كل الخير منه يصاب
سليمان قد أعطاه فهماً فناده ... يجبك سريعاً ماعليه حجاب
وسل منه توفيقاً ولطفاً ورحمة ... فتلك الى حسن الختام مآب

— تمت —

---

(١) المجادل : هو الوليد بن المغيرة ، جاء يفاوض رسول صلى الله عليه وسلم .

وبما قاله :

الشيخ ابراهيم بن مسعود الاندلسي

هذه القصيدة البليغة ، التي بعث بها إلى ابنه أبي بكر يحثه على طلب العلم الشريف
ـ رحمه الله تعالى ـ

تفت فؤادك الأيام فتاً ... وتنحت جسمك الساعات نحتا
وتدعوك المنون دعاء صدق ... ألا ياصاح أنت أريد أنت
أراك تحب عرساً ذات غدر ... أبت طلاقها الأكياس بتا (١)
تنام الدهر ، ويحك ، في غطيط ... بها حتى اذا مت انتبهت
فكم ذا أنت مخدوع فحتى ... متى لاترعوي عنها وحتى ؟!
أبا بكر دعوتك لو أجبتا ... الى ما فيه حظك لو عقلت
الى علم تكون به إماماً ... مطاعاً ، ان نهيت وان أمرت
ويجلو ما بعينيك من غشاء ... ويهديك الصراط اذا ضللت
وتحمل منه في ناديك تاجاً ... ويكسوك الجمال اذا اغتربت
ينالك نفعه مادمت حياً ... ويبقى ذكره لك ان ذهبت
هو العضب المهند ليس يكبو ... تنال به مقاتل من ضربت
وكنز لا تخاف عليه لصاً ... خفيف الحمل يوجد حيث كنت
يزيد بكثرة الانفاق منه ... وينقص ان به كفاً شددت
فلو قد ذقت من حلواه طعماً ... لآثرت التعلم واجتهدت
ولم يشغلك عنه هوى مطاع ... ولا دنيا بزخرفها فتنت
ولا يلهيك عنه أنيق روض ... ولا خود بزينتها كلفت
فقوت الروح ارواح المعالي ... وليس بأن طعمت وان شربت
فواظبه ، وخذ بالجد فيه ... فان أعطاكه الباري أخذت

---

(١) البت : القطع ، والطلاق المبثوت الذي لارجعة فيه .

وان أوتيت فيه طويل باع　　　وقال الناس : انك قد سبقت

فلا تأمن سؤال الله فيه　　　بتوبيخ ، علمت فهل عملت ؟!

فرأس العلم تقوى الله حقاً　　　وليس بأن تعالى أو رئست

وضافي ثوبك الاحسان لا أن　　　ترى ثوب الاساءة قد لبست

وان ألقاك فهمك في مهاو　　　فليتك ، ثم ليتك مافهمت

اذا مالم يفدك العـــلم خيرا　　　فخير منه ان لو قد جهلت

ستجني من ثمار اللهو جهلا　　　وتصغر في العيون اذا كبرت

وتفقد ان جهلت ، وانت باق　　　وتوجد ان علمت اذا فقدت

ستذكر نصحتي لك بعد حين　　　وتطلبها اذا عنها شغلت

وسوف تعض من ندم عليها　　　وما تغني الندامة ان ندمت

اذا أبصرت صحبك في سماء　　　وقد رفعوا عليك ، وقد سفلت

فراجع ذا ودع عنك الهوينا　　　فما بالبطء تدرك ما طلبت

ولا تحفل بما لك ، واله عنه　　　فليس المال الا ما علمت

وليس بجاهل في الناس مغنى　　　ولا ملك الأنام له تأتى

سينطق عنك مالك في ندي　　　ويكتب عنك يوما ان كتبت

وما يغنيك تشييد المباني　　　اذا بالجهل دينك قد هدمت

جعلت المال فوق العلم جهلا　　　لعمرك في القضية ما عدلت

وبينهما بنص الوحي فرق　　　ستعلمه اذا « طه » قرأت

لئن رفع الغني لواء مال　　　فأنت لواء علمك قد رفعت

وان جلس الغني على الحشايا　　　فأنت على الكواكب قد جلست

وان ركب الجياد مسومات　　　فأنت مناهج التقوى ركبت

ومهما افتض أبكار الغواني　　　فكم بكر من الحكم افتضضت

وليس يضرك الاقتار شيئاً　　　اذا ماأنت ربك قد عرفت

فياما عنده لك من جزيل　　　اذا بفناء طاعته أنخت

فقابل بالقبول صحيح نصحي　　　وان اعرضت عنه فقد خسرت

وان راعيته قولا وفعلا　　　وعاملت الاله به ربحت

فليست هذه الدنيا بشي — تسوؤك حقبة ، وتسر وقتاً
وغايتها اذا فكرت فيها — كفيئك ، او كحلمك ان رقدت
سجنت بها وأنت لها محب ، — فكيف تحب من فيها سجنت ؟!
وتطعمك الطعام وعن قليل — ستطعم منك مامنها طعمت
وتعرى ان لبست بها ثياباً — وتكسى ان ملابسها خلعت
وتشهد كل يوم دفن خل — كأنك لاتراد بما شهدت
ولم تخلق لتعمرها ، ولكن — لتعبرها ، فجدّ لما خلقت
وان هدمت فزدها أنت هدماً — وحصن أمر دينك ماستطعت
ولا تحزن لما قد فات منها — اذا ما أنت في أخراك فزت
فليس بنافع ما نلت منها — من الفاني اذا الباقي حرمت
ولا تضحك مع السفهاء جهلا — فانك سوف تبكي ان ضحكت
وكيف بك السرور وأنت رهن — ولا تدري غداً أن لو غلبت ؟!
وسل من ربك التوفيق فيها — وأخلص في الدعاء اذا سألت
وناد اذا سجنت به اعترافاً — لما ناداه ذو النون بن متى
ولازم بابه قرعاً عساه — سيفتح بابه لك ان قرعت
واذكر اسمه في الأرض دأباً — لتذكر في السماء اذا ذكرت
ولا تقل الصبا فيه امتهال — وفكر ، كم صغير قد دفنت
وقل لي : يانصيحي أنت أولى — بنصحك ، اذ بعقلك قد عرفت
فتعذلني عن التفريط يوماً — وبالتفريط دهرك قد قطعت
وفي صغري تخوفني المنايا — وما تجري ببالك حين شخت
وكنت مع الصبا أهدى سبيلا — فما لك بعد شيبك قد نكست
وها أنا لم أخض بحر الخطايا — كما قد خضته حتى غرقت
ولم أشرب حمياً أم دفر (١) — وأنت شربتها حتى سكرت
ولم أحلل بواد فيه ظلم — وأنت حللت فيه ، وانتهكت

---

(١) أم دفر : هي الدنيا ،

ولم أنشأ بعصر فيه نفع ... وأنت نشأت فيه ، فما انتفعت
وناداك الكتاب فلم تجبه ... ونبهك المشيب فما انتبهت
وقد صاحبت أعلاماً كثيرا ... فلم أرك انتفعت بمن صحبت
ليقبح بالفتى فعل التصابي ... وأقبح منه شيخ قد تفتى (١)
فأنت أحق بالتفنيد مني ... ولو سكت المسيء لما نطقت
فنفسك ذم ، لاتذمم سواها ... بعيب ، فهي أجدر ان ذممت
ولو بكت الدما عيناك خوفاً ... لذنبك لم أقل لك قد أمنت
فمن لك بالأمان وأنت عبد ... أمرت ، فما ائتمرت ، ولا أطعت
فسرت القهقرى ، وخبطت عشوا ... لعمرك لو وصلت لما رجعت
ثقلت من الذنوب ،ولست تخشى ... لجهلك أن تخف اذا وزنت
ولو وافيت ربك دون ذنب ... وناقشك الحساب اذاً هلكت
ولم يظلمك في عمل ، ولكن ... عسير أن تقوم بما حملت
وتتعب للمصر على الخطايا ... وترحمه ، ونفسك ما رحمت
ولو قد جئت يوم الفصل فرداً ... وأبصرت المنازل فيه شتى
لأعظمت الندامة فيه لهفاً ... على مافي حياتك قد أضعت
تفر من الهجير وتتقيه ... فهلا من جهنم قد فررت !!
ولست تطيق أهونها عذاباً ... ولو كنت الحديد بها لذبت
ولا تكذب ، فان الأمر جد ... وليس كما حسبت ، وما ظننت
أبا بكر ، كشفت أقل عيبي ... وما استعظمته منها سترت
فقل ماشئت في من المخازي ... وضاعفها ، فانك قد صدقت
ومهما عبتني فلفرط علمي ... بباطنتي كأنك قد مدحت
ولا ترضى المعائب فهي عار ... عظيم ، يورث الانسان مقتاً
وتهوي بالوجيه من الثريا ... وتبدله مكان الفوق تحتا
كذا الطاعات تبلغك الدراري ... وتجعلك القريب ، وان بعدت
وتنشر عنك في الدنيا جميلا ... فتلقى البر فيها حيث شئت
وتمسي في مساكنها عزيزاً ... وتجني الحمد مما قد غرست

---

(١) تفتى الشيخ: اذا تخلق بصفات الفتيان .

وأنت اليـــوم لم تعرف بعيب ولا دنست ثوبك مـــذ نشأت
ولا سابقت في ميدان زور ولا فيه وضعت ، ولا خببت
فان لم تنأ عنه نشبت فيه فمن لك بالخلاص اذا نشبت ؟!
ودنس منك ما طهرت حتى كأنك قبل ذلك ما طهرت
وصرت أسير ذنبك في وثاق وكيف لك الفكاك وقد أسرت ؟!
فخف أبناء جنس ، واخش منهم كما تخشى الضراغم والسبنتا
فخالطهم ، وزايلهم جـذاباً وكن كالسامري اذا لمســت
وان جهلوا عليك فقل : سلام لعلك سوف تسلم ان سلمت
ومن لك بالسلامة في زمان ينـال العصم الا ان عصمت
ولا تلبث بحي فيه ضيم يميت القلب الا ان كبلت
فغرب ، فالتغرب فيـه خير وشرق ان بريقك قد شرقت
فليس الزهد في الدنيـا خمولا فأنت بها الأمير اذا زهـدت
فلو فوق الأمير يكون عال علواً وارتفاعـاً كنت أنت
فان فارقتها ، وخرجت منها الى دار السلام ، فقد سلمت
وان أكرمتها ، ونظرت فيها باجلال ، فنفسك قد أهنت
جمعت لك النصائح فامتثلها حياتك ، فهي أفضل ما امتثلت
وطولت العتاب ، وزدت فيه لأنك في البطالة قـد أطلت
فلا تأخذ بتقصيري ، وسهوي وخذ بوصيتي لك ان رشـدت
وقد أردفتها ستاً حساناً فكانا قبل ذا مائة وستا
وصلى الله ما أورق نضار على المختـار في شجر وحت

— تمت —

قصيدة
الإمام العلّامة محمّد بن احمد الموصلي
في مدح
الإمام المبجّل احمد بن حنبل
رحمه الله تعالى

ولما كانت الاعمال بالخواتيم ، وبذكر الصالحين ينال الفوز العظيم ، أحببنا ان نختم هذا الكتاب بقصيدة محمد بن احمد بن احمد بن الحسين الموصلي المفتخرة بذكر بعض فضائل الامام الرباني ، والصديق الثاني ، أبي عبد الله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني عليه الرحمة والرضوان .

ترجمة
محمد بن احمد الموصلي

هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن الحسين الموصلي .

كان مقرئاً فقيهاً ، وأديباً شاعراً ، وذكياً فاضلاً . له تصانيف كثيرة ، ومنظومات جيدة في اثبات الصفات الالهيه على مذهب اهل السنة والجماعة وفي القراءات والفقه ، والعربية والتاريخ – منها نظم العبادات من الخرقي – . توفي في الموصل سنة ٦٥٦ وقيل ٦٥٠ وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة .

قال رحمه الله تعالى :

دع عنك ذكر فلانة وفلان ... وحذار ما (١) يلهي عن الرحمن

واعلم بان الموت ياتي بغتة ... وجميع ما فوق البسيطة فان

فالى متى تلهو وقلبك غافل ... عن ذكر يوم الحشر والميزان

(١) في ذيل الطبقات : واجنب لما .

أتراك لم تك سامعاً ما قد أتى في النص بالآيات والقرآن
فانظر بعين الاعتبار ولا تكن ذا غفلة عن طاعة الديان
واقصد لمذهب أحمد بن محمد أعني ابن حنبل الفتى الشيباني
فهو الامام مقيم دين المصطفى من بعد درس معالم الايمان
أحيا الهدى وأقام في إحيائه متجرداً للضرب غير جبان
تعلوه أسياط الأعادي وهو لا ينفك عن حق الى بهتان
ويقول عند الضرب : لست بتابع يا ويحكم لكم بلا برهان
ماذا أقول غداً لربي اذ أنا وافقتكم في الزور والبهتان
وعدلت عن قول النبي وصحبه وجميع من تبعوه بالاحسان
أترون أني خائف من ضربكم لا والاله الواحد المنان
كن حنبلياً ما حييت فانني اوصيك خير وصية الاخوان
ولقد نصحتك ان قبلت ، فأحمد زين الثقات وسيد الفتيان
من ذا أقام كما أقام إمامنا متجرداً من غير ما أعوان
مستعذباً للمر في نصر الهدى متجرعاً لغضاضة السلطان
وسلا بمهجته وبايع ربه دحض الضلال وفتنة الفتان
واتى برمح الحق يطعن في الهدى اهل الضلال وشيعة الشيطان
من ذا لقي ما قد لقاه من الأذي في ربه من ساكني البلدان
فعلى ابن حنبل السلام وصحبه ما ناحت الورقاء في الأغصان
اني لارجو ان أفوز بحبه وانال في بعثي رضا الرحمن
حمداً لربي اذ هداني دينه وعلى شريعة احمد أنشاني
واختار مذهب أحمد لي مذهباً ومن الهوى والغي قد أنجاني
من ذا يقوم من العباد بشكر ما اولاه سيده من الاحسان
ثم الصلاة على النبي وآله وصحابه مع سائر الاخوان (١)
ما عطرت انفاس ارواح الصبا ابداً وناح الورق في الاغصان

(١) البيتان الاخيران ليسا في الطبقات .

ولما من الله سبحانه وتعالى باجتماع هذه الرسائل ، التي هي للوصول الى الحق أعظم الوسائل ، سمحت القريحة الدائرة ، والهمـــة القاصرة ، بتقريظ يتنور بشمس فضائلها ، ويرتوى من نمير مناهلها ، فصدح عندليب البيان على فنن التبيان ، مترنماً بهذه الأبيات ، التي تحاكي الدراري في بحور الغانيات ، فقلت ، وأنا الحقير علي بن سليمان ، متوكلا على الكريم المنان :

أشمس سعود أشرقت من سما المجد ؟ | أم المسك أمسى فائحاً من صبا نجد ؟
أم الروضة الغناء باكرها الحيـــا | فأحيا بها روض البنفسج والورد ؟
أَم البرق من أفق الخليصاء لائح ؟ | ام المزن حنت فازدهى حادي الرعد ؟
أم البـدر للسـارين ليل تمامـه | تجلى ، فشاموا طالع الأنس والسعد ؟
أم الغـادة الحسناء أسفر وجههـا | فزدت بها ، ياصاح ، وجداً على وجد ؟
ولكنها مجموعة قد تجمعت | بها نسخ تحكي الزواهر في العقد
حوت حكماً ، واستحكمت بأدلة | تدل على نيل السعادة ، والقصد
يقر بها الاسلام عيناً ، ويزدهي | بنور سناها طالع الفضل ، والمجد
وأمست لمنهاج الشريعه أنجماً | بها يهتدي من يبتغي سبل الرشد
تقدم هـذي السبع منها قصيدة | لحبر بني قحطان ، والعلم الفرد
ويتلو سناها في الهدى واسطية | وها هي في التحقيق واسطة العقد
وميمية ابن القيم الجهبذ الذي | به الله أحيى دارس العلم والزهد
ولامية السامي الذرى ابن مشرف ، | وميمية فاقت على عبهر الند
وبائية الشهم الغيور أخي العلا | امام بني صنعا ، وتاج ذوي العقد
وتائية كالدر أندلسيـــة | تحث على كسب الفضائل بالجد
فسمعاً لما فيهن ، واعتصموا به | لتحظوا بدار الخلد بالعيشة الرغد

وعضوا عليها بالنواجذ ، واسمعوا   نصائح منها ، لا تنهنه بالعد
على منهج الأصحاب والسلف الألى   أقاموا عماد الدين بالصارم الهندي
وقد اصبحت ترمي نجوم سمائها   بشهب شواظ ويك مسعرة الوقد
على تابعي علم الكلام فأهله   لقد أصبحوا عن منهج الحق في بعد
وقد سفهت أحلامهم حينما نحوا   مسالك جهم ، واقتفوا مذهب الجعد
وقد عطلوا رب الورى عن صفاته   لرأي شيوخ خالفت سبل القصد
وقالوا بأن الله ليس بمستوٍ   على عرشه ، بل قابلوا ذاك بالرد
وقد أنكروا معراج أحمد حينما   حباه إله العرش بالقرب والود
فدع قولهم يا من يروم سلامة   فانا نرى أقوالهم جرباً يعدي
فما الهدي الا هدي أحمد لا كما   يقول اولو التعطيل والمذهب المردي
أرى الحق قال الله ، قال رسوله ،   وقال به صحب النبي اولو الرشد
وأفتى به النعمان حقاً ، ومالك ،   وأحمد والحبر ابن ادريس ذو الزهد
اولئك اهل الحق فاسلك طريقهم   وكن حذراً من منهج الخاسر الجعد
فلا برحت هذي الرسائل عصمة   لمعتصم بالشرع ، نوراً لمستهدي
واسأل ربي ان يعم بنفعها   جميع الورى يا صاح في القرب والبعد
وصلى اله العرش ما لاح بارق   وحلت عزالي السحب زمجرة الرعد
كذا الآل، والأصحاب، ماقال قائل: أشمس سعود أشرقت من سما المجد

* * *

خاتمة الطبعة الأولى

وللجامعه الفقير الى الله تعالى علي بن سليمان عامله الله باللطف والاحسان ، مؤرخاً عام طبعه وانتشار نفعه :

زهت روضة الايمان وابتهج التقى — وشيد عماد الدين من بعد وضعه
ولاحت شموس العلم في أفق الهدى — وحلت بدور الفضل في سوح ربعه
وقرت عيون الحق بعد عمائهـــا — وبان من التوحيد أعلام رفعـه
بطبع كتاب قد حوى كل محـكم — من القول من هدي النبي وشرعه
لقد ربحت فيه تجـارة مقتف — وخاب امرؤ قد فاته نيل نفعه
بـه فافتخر يا من يؤرخ مجده — فقد سطعت في الكون انوار طبعه

٥٢ ١٨٤ ٥٣٩ ١٩٧ ٢٥٨ ٨٦

سنة ١٣١٦ هـ

الفهرس

